

فصلية علمية محكمة - تصدر عن مجلس النشر العلمي جامعة الكويت

التوظيف الفنّي للنجوم والكواكب
في شعر أبي العلاء

د. جاسم سليمان حمد الفهيد

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب

جامعة الكويت

مجلس
النشر
العلمي



ISSN: 1560 - 5248

الرسالة ٢٢٩ - الحولية ٢٥

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (يونيو)



حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

تصدر عن مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت

فصلية علمية محكّمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية:

الآداب:

اللغة العربية وآدابها، اللغة الإنجليزية وآدابها، التاريخ، الفلسفة، الإعلام.

العلوم الاجتماعية:

الاجتماع، الجغرافيا، علم النفس، العلوم السياسية.

الحولية الخامسة والعشرون
الرسالة التاسعة والعشرون بعد المئتين
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م







الهيئة الاستشارية



قواعد النشر في

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

١ – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية مجلة فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، تنشر البحوث من الجامعات والمؤسسات العلمية العربية والأجنبية في الموضوعات الأدبية والاجتماعية والإنسانية.

٢ – تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصلية، باللغتين العربية والإنجليزية، على ألا تتجاوز صفحات أي بحث ٢٠٠ صفحة، ولا تقل عن ٥٠ صفحة.

٣ – **قواعد تسليم البحوث:**

أ – يقدم البحث **مطبوعاً من ثلاث نسخ**، على ورق (A4)، وعلى مسافتين، وبنط (١٤)، مع **القرص المرن** الخاص به.

ب – يرفق الباحث ملخصاً للبحث باللغتين العربية والإنجليزية في حدود ١٠٠–١٥٠ كلمة **مطبوعاً**.

ج – يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة، باللغتين العربية والإنجليزية، تشمل أهم مؤلفاته وأبحاثه **مطبوعة**.

د – يقدم الباحث إقراراً كتابياً؛ بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.

هـ – تقدم الخرائط، والأشكال، والرسوم **بأصولها** الصالحة للطباعة، أما الصور الفوتوغرافية؛ فتطبع على ورق لماع، مع ضرورة تقديم **الشريحة الأصلية للصور الملونة**.

و – في حال رغبة الباحث نشر الصور، أو الخرائط، أو الأشكال البيانية **ملونة، يلتزم بدفع تكاليفها**.

٤ – **يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعه ما يلي:**

أولاً – الهوامش:

أ – توضع الهوامش في **نهاية كل فصل**، أو في **نهاية البحث** في حالة عدم وجود فصول.

ب – ترتب أرقام التوثيق بطريقة متسلسلة حتى نهاية كل فصل، أو حتى نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.

ج – تثبت الهوامش عند ذكرها لأول مرة كاملة كالتالي:
اسم المؤلف، عنوان الكتاب (**بالبنط الأسود**)، رقم الطبعة/ رقم الجزء، مكان النشر، اسم الناشر، سنة النشر/ رقم الصفحة.



مثال:

- أحمد محمد عبدالخالق، **معجم ألفاظ الشخصية**، الطبعة الأولى، دولة الكويت، مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت، ٢٠٠٠م، ص١٥.
- في حالة تكرار الهامش **مرات متتالية**، يذكر باختصار كالتالي:

* المرجع السابق، ص٢٦.

- وفي حالة وجود فاصل **هامش مختلف** يذكر كالتالي:

* أحمد عبدالخالق، **معجم ألفاظ الشخصية**، ص٣٥.

ثانياً – المصادر والمراجع:

يرتب ثبت المصادر والمراجع **ترتيباً ألفبائياً**، حسب الأسماء المشهورة للمؤلفين.

ويتبع في إثباتها ما يلي:

اسم المؤلف، عنوان الكتاب **(بالبنط الأسود)**، اسم المحقق أو الشارح أو المترجم، رقم الطبعة، اسم الناشر، مكان النشر، السنة.

مثال:

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **كتاب الحيوان**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٦٥م.

٥ – **شروط قبول الأبحاث في الحوليات:**

أ – لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.

ب – أصول البحوث المقدمة للنشر لا ترد ولا تسترجع، سواء نشرت أو لم تنشر.

ج – لا يجوز نشر البحوث في جهات أخرى بعد موافقة الحوليات على نشرها، وإذا ثبت ذلك، فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.

د – يمكن للباحث نشر بحثه في جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي مسبق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات – على الأقل – على نشره في الحوليات.

هـ – تمنح المجلة للباحث خمسين نسخة من بحثه المنشور، كإهداء.

٦ – ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى:

رئيسة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

رمز بريدي: 72454

الكويت

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/AASS/

E-mail: aotfoa@kuc01.kuniv.edu.kw



الرسالة ٢٢٩

التوظيف الفنّي للنجوم والكواكب في شعر أبي العلاء

د. جاسم سليمان حمد الفهيد
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب
جامعة الكويت

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الخامسة والعشرون - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



المؤلف:

د. جاسم سليمان الفهيد

- دكتوراه في البلاغة والنقد بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب - جامعة القاهرة ٢٠٠٠.
- عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكويت.

الإنتاج العلمي:

- بنية الكناية: دراسة في شبكة العلاقات الدلالية. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت ع٨٨، سنة ٢٠٠٤.



المحتوى



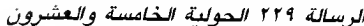


الملخص

تتردّد في شعر أبي العلاء بكثرة أسماء النجوم والكواكب وألقابها وما يتصل بها من ظواهر واعتقادات، ويهدف هذا البحث إلى تعرف الطرق والآليات التي استطاع أبو العلاء من خلالها توظيف تلك المعرفة الفلكية لخدمة شعره فكراً وأسلوباً، يقع البحث في أربعة فصول منتظمة في بابين، حيث اعتنى البحث في بابه الأول بدراسة تجربة التصوير البياني المعتمد على النجوم والكواكب، ونظراً لتنوّع الصور وكثرتها فقد خصص الفصل الأول منه لدرس الصور المفردة عبر استعراض صور كل نجم على حدة، بينما خصص الفصل الثاني لدرس الصور المزدوجة. ولتعرف حجم الجهد الابتكاري لأبي العلاء فقد اعتنى البحث بالموازنة بينه وبين من سبقه من الشعراء في هذا الاتجاه للوقوف على جوانب التجديد والتقليد في شعره النجمي.

وأما الباب الثاني فقد عالج التوظيف الفني للنجوم والكواكب وفق مستويين: الأول (الخطاب الإقناعي)؛ حيث أبان البحث عن الدور الكبير الذي لعبته النجوم بوصفها مصدراً رئيساً في تأصيل فلسفة أبي العلاء ونظرته إلى الكون والحياة، ومورداً عقلياً استلهم منه الحجج والأدلة لتدعيم ما يؤمن به من آراء وأفكار، وكان ذلك في الفصل الأول منه. وأما على المستوى الثاني (الصبغ البديعي)، فقد تتبع البحث التطبيقات البديعية في شعره التي اعتمدت في تحسينها المعنوي واللفظي على النجوم والكواكب.

ويكشف البحث عن متانة المعرفة الفلكية لأبي العلاء ومدى إحاطتها بدقائق مسائل هذا العلم، وعن سعة ثقافته اللغوية المتعلقة بأسماء النجوم وألقابها مما هيأ له سبل الإفادة من تلك المعارف وفق الوجه الأكمل.





المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده،

وبعد:

فليس بعسير على من يتصفح ديواني أبي العلاء «سقط الزند واللزوميات» أن يتبيّن أنّ للنجوم والكواكب – وما يتصل بهما من ظواهر فلكية – حضوراً طاغياً في شعره، وهو ما يستدعي من المهتمين بدراسة أدبه وفكره وقفة متأنية تنال حظها المناسب من البحث والنظر؛ إذ تميز هذا الحضور بتنوع أغراضه وثراء دلالاته، وتجلّى على صُعُد شتى من صعد الأداء الفني: من حيث الصور والأخيلة وألوان الصبغ البديعي المتنوعة، كما استأثر بنصيب جليل من وسائل الخطاب الإقناعي الذي يمثل ركناً ركيناً في شعرٍ ينضح فكراً وحكمة وتأملاً.

وتسعى هذه الدراسة النقدية عبر قراءة متفحصة للديوانين المذكورين إلى أن تتهَدَّى إلى رسم معالم المنهج الذي سلكه أبو العلاء في توظيف عناصر هذه الظاهرة بما حقّق له الإفادة منها في إثراء معاني شعره وأخيلته وتجويد أساليبه وتراكيبه على الوجه الأمثل. وحتى تؤتي الدراسة أُكُلَها فإنها ستمضي إلى بلوغ غاياتها في مسارب ثلاثة:

الأول: الوقوف على الدور الذي تؤديه النجوم والكواكب في إثراء التصوير الفني بوصفها مادة غنية ترفد الخيال الشعري بما يتيح للتجديد والابتكار مجالاً رحباً.

الثاني: تعرف صور التوظيف الفني للنجوم والكواكب على مستوى الخطاب الإقناعي والحجاج العقلي وأثرها في تشكيل رؤيته الخاصة للعالم.

الثالث: رصد التطبيقات البديعية التي اعتمدت في تحسينها المعنوي أو اللفظي على الإفادة من ألقاب النجوم والكواكب وخواصّها.

ولاريب في أن الحديث عن النجوم والكواكب سيقودنا إلى التعرض للموقف



العقدي لأبي العلاء نظراً لما يتصل بذلك من اعتقادات وتصوّرات تركت آثارها على شعره، ولما كانت عقيدة أبي العلاء محلَّ نزاع شديد قديماً وحديثاً فقد رأيت أنّه من المستحسن ابتداء تعرّف ملامح هذا المشهد العقدي من شعره مع ما يعتري ذلك من إسقاطات ودلالات تتصل اتصالاً وثيقاً بالتطبيق الفني لعناصر هذه الظواهر الفلكية.

وتوخياً لذلك كله فقد جاءت الدراسة في تمهيد وبابين:

- أما التمهيد، فتناولت فيه معتقد أبي العلاء في النجوم والكواكب.
- وأما الباب الأول، فخُصِّص لدراسة أثر النجوم والكواكب في بناء الصورة الفنية عنده. وجاء في فصلين: أُفرِد الأول منهما لتحليل الصور النجمية المفردة، والثاني لدرس الصور المزدوجة.
- وأما الباب الثاني، فخُصِّص لدرس تجليات التوظيف الفني للنجوم والكواكب على صعيدي الخطاب الإقناعي والصبغ البديعي. وجاء في فصلين: أفرد الأول منهما لمعالجة آليات الخطاب الإقناعي وأساليب الحجاج العقلي، بينما خصص الثاني لبيان دور النجوم والكواكب في صوغ وجوه التحسين اللفظي والمعنوي للغته الشعرية.



تمهيد
معتقد أبي العلاء في النجوم والكواكب

لا يخفى على المطّلع على تاريخ الديانات الأرضية أن للنجوم والكواكب نصيباً كبيراً من التقديس والتعظيم الذي يصل عند بعض أتباع تلك الديانات إلى حدّ التأليه والعبادة، وقد أشار القرآن الكريم إلى طرف من ذلك مبيناً فساد تلك المعتقدات وضلال أصحابها كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] وقوله عن قوم سبأ على لسان الهدهد ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، وما حكاه – جلّ وعلا – عن مناظرة الخليل إبراهيم – عليه السلام – لقومه الصابئة لإبطال عبادتهم للكواكب(١).

ومن مظاهر الافتتان بها عند غير عابديها اعتقادهم أن لها تأثيراً فيما يقع من الحوادث سعداً كان أم نحساً، فقد كان مشركو العرب يعتقدون أنها المُتسبّبة في نزول المطر، كما يشير إلى ذلك الحديث القدسي: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما من قال: (مُطرنا بفضل الله ورحمته) فذلك مؤمن بي كافرٌ بالكوكب، وأمّا من قال: (مُطرنا بنَوءِ كذا وكذا) فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»(٢). وقد فُسِّر بذلك قوله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، قال ابن عبّاس: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شكركم على ما أنزلتُ عليكم من الغيث والرحمة تقولون: مُطِرنا بنوء كذا وكذا. قال: فكان ذلك منهم كفراً بما أنعم عليهم(٣). وكانوا أيضاً يعدّون كسوف النيّرين – الشمس والقمر – مؤذناً بموت أحد العظماء، فأبطل النبيّ – صلى الله عليه وسلم – اعتقادهم بقوله: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس»(٤).

وإذا أردنا تعرّف الموقف العقدي لأبي العلاء منها فيمكن القول إنه يتفق في



مجمله مع العقيدة الإسلامية التي تقرّر أن النجوم والكواكب آيات دالة على قدرة الله وبديع صنعه، وأنها كسائر مخلوقاته لا تملك لنفسها – فضلاً عن غيرها – ضرّاً ولا نفعاً، وأنها محكومة بسلطان الفناء المحتوم عند نهاية الحياة الدنيوية استعداداً للنقلة للحياة الباقية الخالدة. فتراه يقرّر كونها مخلوقةً لله في قوله:

فالهلال المُنيف والبدرُ والفَرْ قدُ والصُّبحُ والثرى والماءُ
والثُّريّا والشمس والنّارُ والنُّثْـ ـرة والأرضُ والضُّحى والسماءُ
هذه كلُّها لربِّكَ ما عا بك في قول ذلك الحكماءُ[٥]

وقوله:

فربُّكمُ اللهُ الذي خلقَ السُّها وأبدى الثُّريّا والسِّماكَين والقَلبا[٦]

ويعدّها شواهد ناطقة بعظمة القدرة الإلهية حيث يقول:

هذي الكواكبُ للمليكِ شواهِدٌ منها الخفيُّ لناظرٍ والنَّيِّرُ[٧]

وقوله:

أوْمَأتْ للحذاءِ كفُّ الثُّريّا ثمّ صُدَّ الحديثُ والإيماءُ
شهدتْ بالمليك أنجمُها السِّـ (م) ـتّةُ ثمّ الخَضيبُ والجذماءُ[٨]

وهو يؤكد ذلك عند الحديث عن زُحَل الذي يراه المُنجِّمون نجم النحس وأعظمَ الكواكب تأثيراً في العالم الأرضي حيث يقول:

وكَيْوانُ والمرّيخُ عبدانِ سُخِّرا ولستُ أبالي إن هما فَرَعَاني[٩]

وقوله أيضاً:

إذا عظّموا كَيْوانَ عَظَّمْتُ واحداً يكونُ له كَيْوانُ أوّلَ ساجدِ[١٠]

ويهزأ بمن يعلّقون معرفة طبيعة الحوادث بِقران زُحل والمُشتري فيقول:

مالي رأيتُ صُنوفَ الباطلِ اشتبهتْ فلم تزل بقِرانِ المُشتري زُحَلا
عبدان للهِ سيّارانِ ما سئما طولَ المسير إذا ملّ الفتى الرِّحلا
وما استفزّهما الإمهالُ فادّعَيا بالجهلِ ما قاله المغرورُ وانتحلا[١١]



وهو يُصرّح بجلاء برفضه للقول بخلود النجوم ويؤكد أنها كسائر المخلوقات سيدركها الفناء والزوال، فهو يقول:

وليس اعتقادي خلودَ النجوم ... ولا مذهبي قِدَمَ العالَم[١٢]

ويردّ على لبيد بن ربيعة القائل:

فهل نُبّئتَ عن أخوين داما ... على الأيّام إلاّ ابني شِمام

وإلّا الفرقَدَين وآلَ نَعْشٍ ... خوالِدَ ما تُحدّث بانهدام[١٣]

بقوله:

ولا أدّعي للفرقَدين بعزّةٍ ... ولا آلِ نعشٍ ما ادّعاه لبيدُ[١٤]

ويقول رداً على دعوى النجوم أنها أقدم من الدهر:

إذا قالت الشُّهب (نحن رَهطٌ ... أقدمُ منه) فهنَّ مانَهْ[١٥]

ويقول في بيان مصيرها:

ونَيّرُ الليل وشمسُ الضُّحى ... داما ولكنّهما يهلَكان

سبحان من سخّر نجمَ الدُّجى ... والبدرَ في قدرته يسلُكان[١٦]

ويقول أيضاً:

بإذنِ اللهِ ينفُذُ كلُّ أمرٍ ... فنَهْنِهْ فيضَ أدمُعِك السُّجوم

يجوز بحُكمِهِ موتُ الثُّريّا ... وأن تبقى السماءُ بلا نجوم[١٧]

كما تراه يصرّح برفضه للاعتقاد الجاهلي الذي ينسب الغيث للأنواء قائلاً:

ولستُ بالناسبِ غيثاً هَمى ... إلى السِّماكَين ولا المِرزَم[١٨]

ومع هذا فإنك تجد في شعره ما يشي بخلاف ذلك من تعظيمٍ للنجوم، واعتقاد في صحة تأثيرها في أحداث العالم الأرضي، وتعليقٍ لأحوال النحس والسعد بمنازلها وما يعتري بروجها المختلفة من صور الاقتران الذي فُتن به أهل العرافة والتنجيم:

فتراه يدعو إلى تعظيمها بدعوى أن خالقَها نفسه قد عظّمها! حيث يقول:

الشُّهبُ عظّمَها المليكُ ونَصَّها ... للعالَمين فواجبٌ إعظامُها[١٩]



- ويَظهر مدى تعظيمه لها بإقسامه بها حين يقول:

والخُنّسِ الخمسِ ما يخلو فتىً ورِعٌ   من ماردٍ في ضمير الصدرِ خنّاسِ[٢٠]

- ويبدو تشككه في فنائها في قوله:

وقد زعموا أنّ الأفلاكَ يُدركُها البِلى   فإن كان حقّاً فالنجاسةُ كالطُّهرِ[٢١]

- وهو يصرّح بأنّ للعالم العلويّ تأثيراً ظاهراً في العالم الأرضي كما في قوله:

لعالمِ العُلوِ فِعلٌ لا خفاءَ به   في عالم الأرضِ مِن وحْشٍ ومِن أَنَسِ

فالخُنّسُ الكُنَّسُ الأفرادُ خالِقُها   مُدبِّرٌ لاحتقارِ الخُنْسِ في الكُنُسِ[٢٢]

- وأما إثبات ما يُنسَب إلى قِران النجوم من سُعود أو نُحوس، فتراه في قوله:

جاء القِرانُ وأمرُ اللهِ أرسلَه   وكان ستِرٌ على الأديان فانخرقا

ما أُبرِمَ المُلكُ إلّا عاد مُنتقَضاً   ولا تألّفَ إلّا شتَّ وافترقا[٢٣]

وقوله:

قِرانُ المشتري زُحلاً يُرجّى   لإيقاظ النّواظِرِ مِن كَراها

وهيهاتَ البريّةُ في ضلالٍ   وقد فطَنَ اللبيبُ لِما اعتراها[٢٤]

وقوله:

لعلَّ قِرانَ هذا النجمِ يَثني   إلى طُرق الهُدى أُمماً حَيارى[٢٥]

- وفي النَّحس وعلاقته بالنجوم يقول:

وقد بانَ أنّ النَّحسَ ليس بغافلٍ   له عملٌ في أنجُم الفُهماءِ[٢٦]

- وتراه يحاول أن يؤلّف بين مذهب القدريّة وعبدة النجوم حين ينسب البلايا والرزايا إليها دون أن تكون من تقدير الله الأزليِّ، وذلك في قوله:

رضاً بقضاء ربّك فهو حَتمٌ   ولا تُظهِرْ لحادثةٍ وُجوما

ولُمْ زُحَلاً أوِ المرّيخَ فيها   ولا تَلُمِ الذي خلقَ النُّجوما[٢٧]

- ومن أبرز مظاهر اضطرابه في هذا الباب تردُّده في وصف الكواكب بالإحساس وسلبه عنه، وهي قضية شُغل بها الفلاسفة الأقدمون الذين كانوا يطلقون عليها وصف (العقل الفعّال)، بمعنى أنها تفيض - بزعمهم - (الصور



والنفوس والأعراض على العناصر والمُركّبات بسبب ما يحصل لها من الاستعدادات المُسبَّبة من الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية!)[٢٨]، فهو يقول:

العالم العالي برأي معاشرٍ	كالعالم الهاوي يُحِسُّ ويَعلمُ
زعمتْ رجالٌ أنّ سيّاراتِه	تَسِقُ[٢٩] العقولَ وأنها تتكلّم
فهلِ الكواكبُ مثلُنا في دينها	لا يتّفقنَ فهائدٌ أو مُسلمُ؟[٣٠]

ويتساءل قائلاً:

لقد عِشتُ الكثير من الليالي	ولم أرقب متى يقع الكسوفُ
فهل لطوالعِ الأقمار عَقلٌ	فتعلمَ حين يُدركها الخسوفُ
أتسمعُ أو تعاينُ أو تُعاني	بلاءً أو تُذوَّقُ أو تَسوفُ؟[٣١]

ويتساءل أيضاً:

تعاليتَ ربَّ النجمِ هل هو عالمٌ	بحالاته في مَطلعٍ ومَغارِ؟
أمِ الشُّهبُ لم تَشعُر كما جُهِل الهدى	وَقودٌ لدى غارٍ يُحَشُّ بغارِ؟[٣٢]

وقوله:

أميّتةٌ شُهْبُ الدجى أم مُحِسّةٌ	ولا عقلَ أم في آلِها العقلُ والحِسُّ؟[٣٣]

وقوله متشككاً:

فإنْ كان حسّاساً من الشُّهْبِ كوكبٌ	فما رِيعَ مِن قبرٍ تَبوّأ نازِلُه[٣٤]

ويمكن القول بعد هذا الاستقراء الشعري لمذهب أبي العلاء العقدي في النجوم أنه كان يُعاني في موقفه منها شكّاً وتناقضاً واضحين، وهو ما يتسق مع ما عُرف عنه في باب العقيدة والديانة عموماً من كونه مرتاباً متردّداً لا يثبت في شيءٍ منه على قدم راسخة، بل هو أسير مذاهب شتى متباينة تتولّد عنها على مستوى الشعر والفكر أحوال متعارضة متناقضة: فبينما تراه طوراً متمسكاً بالدين داعياً لالتزام أحكامه وشعائره، تراه طوراً آخر ثائراً على أصوله نابذاً فروعه في جرأة عجيبة لا تتلاءم مع موقفه السابق، ولذا فإنّك لا تجد في خضم اضطراب الناس في الحكم على



دين الرجل وعقيدته أعدل وأنصف من قول ابن دقيق العيد – محمد بن علي القشيري العلامة الأصولي قاضي الديار المصرية المتوفّى سنة ٧٠٢هـ – لما سُئل عنه فقال: «هو في حَيرةٍ». وعلّق الصفدي(٣٥) على ذلك قائلاً: «وهذا أحسن ما يُقال في أمره». ثم ساق قطعتين من شعره تدلانّ على حيرته وتناقضه، وقال: وهذه الأشياء كثيرة في كلامه، وهو تناقض منه.

هوامش التمهيد

١ - سورة **الأنعام** الآيات ٧٤ - ٨٣.

٢ - رواه **البخاري** بشرحه فتح الباري - تحقيق فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار المعرفة: ٢/٣٣٣ و**مسلم** تحقيق فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (١/٨٣) من حديث زيد بن خالد الجهني.

٣ - انظر: الطبري، ابن جرير: **جامع البيان** - بولاق، المطبعة الأميرية، ١٣٢٨هـ (٢٧/١٢٠).

٤ - رواه **البخاري** بشرحه فتح الباري: ٢/٥٢٦ و**مسلم** ٢/٦٢٢ - ٦٢٦ عن جماعة من الصحابة.

٥ - **اللزوميات** ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٣ (١/٤٥) والنثرة: اسم كوكب.

٦ - **اللزوميات** (١/٨٠) في ١١ بيتاً يتحدث فيها عن عجائب القدرة الإلهية في ترتيب منازل القمر كالحوت والثور والدلو.

٧ - **المصدر السابق** (١/٣٠٠).

٨ - **المصدر السابق** (١/٤٧). والأوصاف المذكورة تصوير لشكل المجموعات النجمية، والأعلام أسماء لبعضها.

٩ - **المصدر السابق** (٢/٣٨٤). وكيوان: زحل. وفَرَعَه إذا علاه.

١٠ - **المصدر السابق** (١/٢٤٥).

١١ - **المصدر السابق** (٢/٢٠٧).

١٢ - **المصدر السابق** (٢/٣٣٦).

١٣ - أبو العلاء، **ديوانه** (ص ٢٠٨) تحقيق إحسان عباس، ط٢، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤.

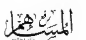
١٤ - **اللزوميات** (١/٢١٣).

١٥ - **المصدر السابق** (٢/٣٦٣). ومانة جمع مائن وهو الكاذب.

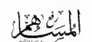
١٦ - **المصدر السابق** (٢/٤١٢).

١٧ - **المصدر السابق** (٢/٣٢٨). نهنِهْ: كُفَّ. السُّجوم: السائل.

١٨ - **ديوان سقط الزند**، بيروت، دار صادر، د.ت، ص٢٧٢.

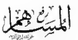


١٩ – **اللزوميات** (٢/ ٢٩٢). نصّها: رفعها.
٢٠ – **المصدر السابق** (٢/ ٤٠). والخُنس الخمس هي: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد؛ لأنها تغيب (تخنس) تحت ضوء الشمس.
٢١ – **المصدر السابق** (١/ ٣٥٢).
٢٢ – **المصدر السابق** (٢/ ٣٩). و(الخنس في الكنس) أي: الظباء في بيوتها.
٢٣ – **المصدر السابق** (٢/ ١٣٧).
٢٤ – **المصدر السابق** (٢/ ٤٣٦).
٢٥ – **المصدر السابق** (١/ ٥٥).
٢٦ – **المصدر السابق** (١/ ٥٠).
٢٧ – **المصدر السابق** (٢/ ١٣٧).
٢٨ – التهانوي، محمد علي: **كشاف اصطلاحات الفنون**، بيروت، دار صادر، د.ت (٣/ ١٠٢٨).
٢٩ – وسقه يسِقه: جمعه وحمله.
٣٠ – **اللزوميات** (٢/ ٢٨٧).
٣١ – **المصدر السابق** (٢/ ١١٠). والسوف: الشم.
٣٢ – **المصدر السابق** (١/ ٣٦٠). الغار الأولى: جماعة من الناس أو غار الجبل. والغار الثانية: نبت طيب الرائحة.
٣٣ – **المصدر السابق** (٢/ ١٨١). والآل: الشخص.
٣٤ – **المصدر السابق** (٢/ ١٨٤).
٣٥ – في **الوافي بالوفيات** باعتناء إحسان عباس – ط١، شتوتغارت، ألمانيا، نشر فرانز شتاينر، ١٩٩٢ (٧/ ١٠٠ – ١٠١).



الباب الأول
التوظيف الفني للنجوم والكواكب في التصوير البياني

- الفصل الأول: في الصور النجمية المفردة
- الفصل الثاني: في الصور النجمية المزدوجة



الفصل الأول
في الصور النجمية المفردة

في هذا الباب نسعى لتعرف السبل التي انتهجها أبو العلاء بقصد تحويل معرفته بأحوال النجوم وصفاتها إلى مادة غنية ترفد أخيلته وصوره ليفتح بذلك آفاقاً رحبة للابتكار والتجديد في ميدان التصوير الفني الذي غدت سمة الاحتذاء والتقليد فيه طابعاً غالباً على أشعار كثير من أقرانه ومعاصريه. وحريٌّ بالذكر أن نشير إلى أن الحضور الفني للنجوم في شعر أبي العلاء لم يقتصر على أداء دور فيض العالم العلوي الغامر بالإلهام والخيال، بل إننا لنجدها نفسها في مواضع عدة خاضعة لسلطان خيال أبي العلاء حين يرسم لها لوحات معبرة تستمد أصباغها وملامحها من مشاهد العالم السفلي!.

ولعلّ الطريقة المثلى لاستعراض صنيع أبي العلاء في هذا الباب تقتضي أن نتوقف عند كل نجم منها على حدة لنتأمل الأدوار التي أدّاها على مسرح الخيال الشعري، وهو ما خصصنا به هذا الفصل، ومن ثم ننتقل في الفصل التالي إلى درس الصور المزدوجة التي تتضافر في تكوينها نجوم عدّة، بحيث لا يُنسب الفضل فيها لأحد أفرادها بعينه بل للمجموعة المتآلفة جمعاء.

القمر:

يمرّ القمر بأطوار متباينة بدءاً بالهلال وتوسّطاً بالبدر وختماً بالمحاق، وأكثر هذه الأطوار وروداً في الصور الفنية في شعر أبي العلاء هو الطور الهلالي؛ إذ يستحوذ البعد الشكلي لهيئته الظاهرة على جانب كبير من تجليات الصورة، فتراه يركز نظره على تلك الاستطالة الدقيقة مع الاعوجاج الحاد في طرفيه، ولذا فهو جديرٌ بأن يُشبّه بسنان الرمح – وهو حديدته الصقيلة – كما في قوله عند الحديث عن خيل بعض ممدوحيه:



كــأنّ الــلــيــلَ حــاربــهــا فــفــيــهِ هِـلالٌ مـثـل مـا انـعـطـف الـسّـنـانُ[١]

وهذا التشبيه ليس من اختراعه وابتكاره، فقد سُبق إليه كما في قول ابن المعتز:

انــظــرْ إلــى حُــســنِ هــلالٍ بــدا يــهــتِــكُ مِــن أنــواره الــحِــنــدســا

كـمِـنـجـلٍ قـد صِـيـغَ مـن فـضّـةٍ يـحصدُ من زهـر الدّجى نَرجِسا[٢]

الجدّة التي يُضفيها أبو العلاء على التشبيه تتمثل في التهيئة المسبقة المُوطِّئة لمجيئه على هذا النحو المتمكّن، فالليل كأنه يحارب خيل الممدوح محاولاً ثنيها عن المسير لكن دون جدوى، وبالطبع فإن الحديث عن تلك الحرب المزعومة يتطلب سنداً يؤيده لئلا يُرسَل الكلام بلا بيّنة، فتأتي صورة الهلال المنعطف كالسنان – آلة الحرب – لتمنحه روحاً من الصدقية والواقعية.

– ويتكرّر هذا التشبيه عنده ليؤدي الغرض ذاته في قوله:

تودُّ البقاءَ النفسُ مِن خِيفةِ الرَّدَى وطـولُ بـقـاء الـمـرءِ سـمٌّ مُـجـرّبُ

على الموتِ تجتاز المعاشرُ كلهم مـقـيـمٌ بـأهـلـيـه ومـن يـتـغـرّب

إلى أن يقول:

كـأنّ هــلالاً لاحَ لــلـطـعـنِ فـيـهـمُ حَناهُ الرَّدَى وهو السّنانُ المجرَّبُ

كـأنّ ضـيـاءَ الـفـجـر سـيـفٌ يـسُـلّـه عليهم صباحٌ بالمنايا مُذرَّبُ[٣]

ففي هذه الأبيات يؤكد أبو العلاء حتمية الفناء والموت التي لا يسلم منها أحد، وانطلاقاً من هذه النظرة المتشائمة فإن الهلال الذي يلوح في السماء ليس إلّا سناناً مُجرّباً في سوح القتال، وأما الانحناء الملحوظ في طرفيه المحدّدين فهو من صنيع الموت الذي يملأ الوجود ويتخطّف الناس، وحتى تترشّح الصورة وتتقوّى دلالتها فإن ضوء الفجر الذي يمتدّ مستطيلاً لامعاً في أفق السماء ليس – في ضوء هذه النظرة – إلا سيفاً مسموماً يسلّه صباح الموت في وجوه ضحاياه البائسين. وهكذا تتجلى ثنائية (السيف والسنان) التي تحكم صراعات الأرض في تشكّل جديد في عالم السماء وهو ثنائية (الهلال والفجر)، ويلح أبو العلاء على هذه الثنائية مرة أخرى في قوله:



وإنّ زمـانـاً فـجـرُه مـثـلُ سـيـفِـهِ   هـلالُ دُجاهُ مِن مـخـالـبِهِ الـحُجْنِ[٤]

فالفجر كالسيف، وأما الهلال المعقوف المعوجّ فليس إلا مخلباً من مخالب الزمان التي ينشبها في أبدان فرائسه التي حان أجل حتفها. وفي اختيار الفجر الذي يرمز إلى النهار، والهلال الذي يرمز إلى الليل إشارةٌ مُوحية بديمومة الموت التي لا يخلو منها زمان ليلاً كان أو نهاراً. وستتكرر معنا هذه الثنائية (السيف والسنان) في عالم النجوم في موضع لاحق[٥].

وبعد هذا التعرف على موضع التشبيه في كلّ من بيتَي الشاعرين يبدو لنا أن ابن المعتز، وإن حاز فضل السابقة في الاختراع فإن تشبيهه اقتصر على الشكل الخارجي دون التغلغل والتلطّف إلى معان أكثر عمقاً وأثرى دلالة، وهو ما يحسب لأبي العلاء حين أوجد علاقة تتجاوز الاتفاق المظهري بين الهلال والسنان إلى ما يتولد عنها من دلالات تصوّر نظرته إلى صراع الموت والحياة.

- وحينما يشبّه أبو العلاء الليل لهوله بالأسد فإن الهلال – بشكله المعطوف المعوجّ – يمثل مخلبه الذي يصول به على النهار، وذلك في قوله:

واهـجُمْ عـلـى جُنحِ الدُّجى ولو انّهُ   أسدٌ يصـول عـلـى الـهلال بِمخلَبِ[٦]

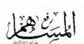
ويظهر أن تشبيه الليل بالأسد لم يكن إلا تهيئة لتشبيه الهلال بالمخلب ليتسق نظم الكلام، وهذا التشبيه من مخترعات أبي العلاء. قال ابن السّيد البطليوسي[٧]: «شبّه الليل في هوله بأسد يصول، وشبّه الهلال بمخلبه، وهو تشبيه مخترعٌ لا أحفظه لغيره».

والمراد الهيئة المجتمعة للصورة، وإلا فإنّ ابن وكيع التنيسي (ت ٣٩٣هـ) قد سبق إلى تشبيه الهلال بمخلب الطائر في قوله:

وقـد بـدا ضـوءُ هـلالٍ أحـدبِ   يـلـوح فـي الـجـوّ كـقَـرْنَـي عـقـربِ
كـمِـنـسـرٍ مـن طـائـرٍ أو مِـخـلـبِ[٨]

- ويتكرر التشبيه في موضع آخر على وجه السلب في قوله:

ومـا الـهلالُ بظُفرِ الـليثِ ترهبُهُ   لـكـنّـه مـن بـقـايـا آكـلٍ ضِـلَـعُ[٩]



ونراه هنا يشبّه الهلال بالضِّلَع لا تفاقهما في الانحناء والاعوجاج، واختيار المشبه به (الضِّلَع) في هذا المقام مقصود لا لمجرد تحقيق الشبه الشكلي ولكن لنزع الرهبة التي يحسّ بها الناظر عندما يتوهّم أن الهلال مخلب ليث، بل – هو على النقيض من ذلك – ضعيف مستحقر إذا نُظر إليه باعتباره بقايا ضِلَع التهمه الآكل الشَّرِه، ولم يدعه إلا عظماً مهشّماً.

– ويأخذ الانحناء والاعوجاج جانباً آخر من الدلالة في تشبيه ضمنيّ في قوله:

وفـي طِبـاعِـك زيـغٌ والـهـلالُ عـلـى سُـمـوِّه جِـلْـفُ تـقـويـسٍ وتـعـويـجِ[١٠]

وغاية التشبيه: إثبات أن النقص عن بلوغ درجة الكمال في الطبائع والأخلاق أمر لا يسلم منه أحد من الخلق مهما علا في مدارج الفضائل؛ فالهلال مع اتصافه بالرفعة والسموّ لم يسلم من الاعوجاج والتقويس. وهو أحد تشبيهاته المبتكرة المستحدثة.

– ومن الصور الغريبة للقمر عند أبي العلاء ما جاء في قوله:

مَـلِـكٌ أنـشـأ الـسـمـاواتِ فـالـبـدْ رُ لـديـه فـي صـورةِ الـجِـلـوازِ

كـم لـه كـوكـبٌ أبـرَّ وأزَّ الـنَّـ (م) ـاسَ حـتـى سـطـا عـلـى أبـرواز[١١]

فالبدر هنا شرطي يحرس السماء، وهي صورة تخيّلية؛ إذ لا شبه ظاهراً بين الاثنين غير أن مسيرة البدر المتنقلة من منزل إلى آخر كلَّ ليلة واقتصار ظهوره على الليل يكشف عن نوع من المشابهة بينهما، فالشرطي (المشبه به) تكثر حركته عادةً في الليل لحفظ الأمن؛ لأنه مظنة السرقة وفرصة اللصوص، كما أنه يتنقّل في حركة دائبة من مكان لآخر للغرض ذاته. وهذه الصورة من مخترعاته.

– ويتنبّه أبو العلاء لأهمية البُعد الحركيّ في نقلة القمر الحاصلة كلّ ليلة فيوظّفها في مقام مدحه لممدوح كثير الارتحال في تشبيه مركب مبتكر حيث يقول:

أراكَ فـي الأرضِ سـيّاراً إلـى شَـرَفٍ كـمـا شـبـيـهُـكَ فـي الآفـاق سـيّـارُ

كـأنّـك الـبـدر والـدنـيـا مـنـازلُـه فـمـا تَـلـيـقُـك إلّا لـيـلـةً دارُ[١٢]



فالممدوح كالبدر لكثرة ارتحاله، ومنازل الدنيا عنده بمنزلة منازل القمر التي لا يبقى فيها أكثر من ليلة ليرتحل في الليلة التالية نحو منزل جديد.

ومن الصور الشكلية للهلال عنده ما جاء في قوله:

ولاحَ هلالٌ مثلَ نُونٍ أجادها   بجاري النُّضارِ الكاتبُ ابنُ هلالِ(١٣)

وليست الجدّة في تشبيه الهلال بالنون المذهّبة فقد سبق إليه ابن المعتز – فيما يُنسب إليه – في قوله:

وانظرْ إلى حُسنِ الهلالِ كأنّه   نُونٌ مُذهّبةٌ على فيروزَجِ(١٤)

وابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) في قوله:

كالنُّونِ إذْ خُطَّتْ بماء الذهبِ(١٥)

والسريّ الرفّاء (ت ٣٦٦هـ) في قوله:

وكأنّ الهلال نُونُ لُجَينٍ   غرقتْ في صحيفةٍ زرقاءِ(١٦)

ولكنّ الجديد في بيت أبي العلاء يتمثل في ذلك التجنيس بين الهلال وابن هلال، وكون الأخير قد جاء ذكرُه عفوَ الخاطر لا تكلّف فيه ولا تصنّع، فالحديث عن كتابة حرف النون والمذكور من الأفراد الذين يتأنّقون في رسمها وتجويدها، وكفى بذلك توثيقاً للصلة بينهما! أضف إلى ذلك ما أحدثه ردّ العجز على الصدر من التحسين اللفظي.

- ومن التشبيهات التي قد تبدو لأول وهلة تقليديةً مطروقة قوله في خيل ممدوحه:

ومُزيرِها الغَوْرَ الذي لو سلّمتْ   ريحٌ على أرجائه لم تسلَمِ

لا تستبينُ الشُّهبُ فيه تنائياً   ويلوحُ فيه البدرُ مثلَ الدرهمِ(١٧)

وهو مَسبوق إليه، فقد قال ابن المعتزّ:

والبدرُ في أفقِ السماءِ كدرهمٍ   مُلقى على ديباجةٍ زرقاءِ(١٨)

وقال الوَأوَاء الدمشقي (ت نحو ٣٨٥هـ):

مِن قمرٍ صار في تنصُّفهِ   كأنّه نصفُ درهمٍ قُطِعا(١٩)



غير أن أبا العلاء لم يكن يقصد من تشبيهه ما قصداه من اتفاق ركنيه في الجلاء والاستدارة واللمعان؛ فقد كان يُصوّر ذلك الغور – وهو المنخفض من الأرض – وشدة هبوطه حتى إن الناظر لا يستبين نجومه، ويبدو له القمر في صورة الدرهم من حيث ضآلة القدر وصغر الحجم، فهو وإن وافقهم في ركني التشبيه فإنه قد فارقهم في وجه الشبه.

– ومن تشبيهاته التقليدية قوله:

سبّحَ اللهَ طالعٌ مُستنيرٌ   وهلالٌ مثلُ القُلامةِ ناحِلُ(٢٠)

فتشبيه الهلال بقُلامة الظفر مأخوذ من قول عمرو بن قَميئة الجاهلي:

كأنّ ابنَ مُزنتها جانحاً   فَسِيطٌ لدى الأفقِ مِن خِنصرٍ(٢١)

وقول ابن المعتز:

ولاح ضوءُ هلالٍ كاد يفضحنا   مِثلَ القُلامةِ قد قُدَّتْ مِن الظُّفُرِ(٢٢)

– ومن هذا الضرب التقليدي قوله في تهنئة أمير بعقد نكاح:

ظلّ للناس يومَ عقدِكَ هذا الـ   أمرَ عيدٌ سمّوهُ عيدَ السرورِ
إن يكن عيدُهم بغير هلالٍ   فالهلالُ المنيرُ وجهُ الأميرِ
راقَهم منظراً وهابوه خوفاً   فهو ملء العيونِ ملء الصدور(٢٣)

والسابق إلى تشبيه الممدوح بالهلال الملتمَس الفرزدقُ في مدح سعيد بن العاص حيث يقول:

ترى الشُّمَّ الجَحاجِحَ من قريشٍ   إذا ما الأمرُ في الحدثان عالا
قياماً ينظرون إلى سعيدٍ   كأنّهمُ يرون به هلالا(٢٤)

وأبو العلاء شبهه بذلك ليعلّل وصفه لليوم المذكور بأنه عيد، وعيد الفطر لابدّ فيه من رؤية الهلال ليثبت شرعاً، فجعل وجه الأمير بمنزلة الهلال ليكتمل وصفه بالعيد، ومن ثمّ فقد فرض عليه المقام سلوك هذه الوجهة في التشبيه.



ومن هذا النمط التقليدي وصفهُ لجوهر جسد الممدوح بجوهر البدر علوّاً ورفعة حيث يقول:

وصاحبُوها بأعراضٍ جواهرُها   كجوهرِ البدرِ لا يدنو من الدَّنسِ(٢٥)

والشعراء وإن كانوا قد أكثروا من تشبيه ممدوحيهم بالبدر فإن أبا العلاء يحاول أن يكسر حاجز الألفة لهذا التشبيه بالاحتراز مما يوصف به البدر من كون كماله لا يدوم سوى ليلتين أو ثلاث، ثم يبدأ بالتناقص والتآكل، ولذا فهو يجمع للممدوح منزلتي البدر والهلال معاً حيث يقول:

فلا زلتَ بدراً كاملاً في ضيائه   على أنّه عندَ التمامِ هلالُ(٢٦)

فله الكمال رفعة وبهاء كالبدر، وله النماء والزيادة كالهلال، ومن ثم فلا يُتصوّر دخول النقص على كماله بفضل التأليف بين كلٍّ من المشبه بهما.

ويمضي أبو العلاء في الاستغلال الأمثل لأحوال القمر في مقامات المدح ما أمكنه ذلك حتى إنه ليفيد من حالة النقص التي تعتري الهلال عبر توظيفها بذكاء في سياق المدح من خلال التشبيه الضمني، وذلك في قوله:

فإنْ نال منكَ السَّقْمُ حظّاً فطالما   رأيتُ هلالَ الأفق وهو سقيمُ(٢٧)

فسَقم الممدوح لا ينقص قدره ولا يقلّل من شأنه، فالهلال مع اتصافه بالعلو والارتفاع لا يسلم من السقم الدائم الذي يعتريه بالمحاق بعد الإبدار.

وعند تصوير الليل الطويل الذي تمرّ ساعاته بطيئة متثاقلة يحلو لأبي العلاء أن يُشبّه القمر بالأسير كما في قوله:

وباتتْ تُراعي البدرَ وهو كأنّه   مِنَ الخوفِ لاقى بالكمالِ سِرارا
تأخّر عن جيشِ الصباحِ لضُعفه   فأوثقَهُ جيشُ الظلامِ إسارا(٢٨)

وقوله أيضاً:

كأنّ الزِّبْرِقانَ بها أسيرٌ   تُجنِّبَ لا يُفكُّ ولا يُفادى(٢٩)



واستحسن البطليوسي[٣٠] هذا المعنى منه، ووصفه بـ (المليح الذي لم يُسبَق إليه)، وذكر أنه بناه على فكرة التضادّ بين الليل والنهار حيث يذهب أحدهما عند إقبال الآخر، ولذلك جعلهما بمنزلة جيشين التقيا فهزم جيشُ الليل جيشَ النهار وأخذ البدر أسيراً وأوثقه. ولكنّ جعْلَهُ البدرَ من جيش النهار مُشكلٌ؛ لأنه آية الليل الظاهرة، فعدُّه من جيش الليل أولى وأقرب. وحاول البطليوسي أن يلتمس لصنيع أبي العلاء وجهاً فادّعى أن البدر والنهار يشتركان في النور، ونور القمر بالأصل مستفاد من الشمس التي هي نجم النهار، فلذا ساغ عدّه من جيشه! ولا يخفى ما فيه من التكلّف.

الشمس:

لا تحتل الشمس حيّزاً ذا بال من مادة التصوير الفني عند أبي العلاء، ويبدو أثرها محدوداً لا يخرج كثيراً عن النمط التقليدي فيما عُرف لها من صور مألوفة مستهلكة، كجعلهِ نورَ وجه الممدوح متفوّقاً على نورها ونور القمر معاً في قوله:

عِشْ فِداءً لوجهِكَ القمرانِ فهما في سَناهُ مُستصغرانِ[٣١]

وأن نور الصباح مستفاد منه، لأنه – بزعمه – شمس الضحى على طريقة (التشبيه البليغ) في قوله:

أنت شمسُ الضُّحى فمنك يُفيدُ الصُّـ (م) ـبحُ ما فيه من ضياءٍ ونورِ[٣٢]

وفي قوله أيضاً:

بنى من جوهرِ العلياءِ بيتاً كأنّ النَّيّراتِ له عِمادُ
إذا شمسُ الضحى نظرتْ إليه أقرّتْ أن حُلَّتَها حِدادُ[٣٣]

حيث يدّعي أن نورَ هذا الشرف الرفيع يتفوق على نظيره الصادر عن الشمس التي تُقِرّ حين النظر إليه بأن بياضها إذا ما قُورن به كان سواداً كثياب الحداد.

– وتراه يوظف ثنائية الخفاء والظهور التي تحكم مسير الشمس ليشبّه بها حال الراحلين الذين يغيبون دهراً ثم يؤوبون لأوطانهم فيما بعد، وذلك في قوله:

وبعضُ الظاعنين كقَرنِ شمسٍ يغيبُ فإن أضاءَ الفجرُ عادا[٣٤]



- ومن التشبيهات الضمنية التي وُظِّفت الشمس فيها قوله:

جمالُ المجدِ أنْ يُثنَى عليه ... ولولا الشمس ما حَسُنَ النهارُ[٣٥]

فهو يقرّر أن المجدَ دون الثناء عليه والإشادة به يفقد قيمته وجلاله تماماً كالنهار الذي لم يكن لِيَحسُنَ في العيون لولا ضياءُ شمسه، فقد قابل بين المجد والنهار، وبين الثناء والشمس ليدلّل على صحة ما ادّعاه.

- ومن التشبيه الضمني قوله في مدح شاعرٍ:

وقد تفرّستُ فيك الفهمَ ملتَهِباً ... من كلِّ وجهٍ كنار الفُرسِ في السَّذَقِ

أيقنتُ أن حبالَ الشمس تُدركني ... لمّا بَصُرْتُ بخيطِ المشرقِ اليَقَقِ[٣٦]

والمعنى: أنه تَوسَّم فيه منذ صغره نباهةَ فهمٍ مُؤذِنة بعِظم شأنه وعلو أمره مستقبلاً، فحاله كحال النهار الذي يدل خيط فجره على أن شمسه ستسطع عمّا قريب. ويرى بعض شرّاح السقط[٣٧] أن معنى البيت مأخوذ من قول أبي تمّام:

إنّ الهلالَ إذا رأيتَ نُموّه ... أيقنتَ أن سيصير بدراً كاملاً[٣٨]

وكل ما صنعه أبو العلاء أنّه نقل فكرة النمو والاكتمال من أطوار القمر إلى مراحل ولادة النهار، لكن تبدو الكفّة في صالح أبي تمام لما في بيته من وضوح الفكرة ورشاقة اللفظ، ويكفي بيت أبي العلاء ما فيه من الثقل الناشئ عن توالي قافين في لفظة (اليقق).

- ومن تشبيهاته المبتكرة التي أحسن فيها توظيفَ الشمس لتوضيح مراده قوله في صفة سلامه المرسَلِ لأحد أصحابه ببغداد:

سلامٌ هو الإسلامُ زارَ بلادَكم ... ففاضَ على السُّنّيّ والمُتشيِّعِ

كشمسِ الضُّحى أولاهُ في النُّورِ عِندَكم ... وأُخراه نارٌ في فؤادي وأضلُعي[٣٩]

إنه يجمع في سلامه بين معنى برد السلامة والأمان ومعنى حرارة الشوق وتلهّب العاطفة، وهما أمران يبدوان كطرفي نقيض، ولذا فقد جاء اختياره للشمس والنور المنبعِث منها اختياراً موفّقاً لتقريب المعنيين إلى ذهن المتلقي وبيان إمكانية اجتماعهما معاً؛ فالشمس التي ينبعث منها النور ملتهبة متأججة، غير أن نورها حين



يصل إلى الأرض يصل دافئاً منعشاً للنفوس، وسلامُه المُرسَل للأحباب كذلك فهو ينبعث من قلب (نظير الشمس) تسكنه حرارة الشوق ولواعج اللهفة ليصل الأحبة حاملاً معاني الدفء والطمأنينة (نظير النور).

– وأمّا تصويره للشمس نفسها فلا نجد منه غير قوله في وصفها في يوم معركة:

بيومٍ كأنّ الشمسَ فيه خَريدةٌ   عليها مِن النَّقعِ الأحمِّ لِثامُ[٤٠]

فهي تبدو حينئذٍ كمُحيّا المرأة الحَيِيةِ التي تغطي وجهها بلثام أسود لشدة حيائها، وذلك أن الغبار المنبعث من وقع سنابك الخيل واصطدام الجحفلين قد تحول إلى عجاجة سوداء تحجب نور الشمس. ووجه الشبه بين الاثنين وسط أسود يُحيط بمستدير أبيض، واختيار لقب الخريدة للتعبير عن المرأة – دون (الجميلة) مثلاً – مقصود لما يتضمّنه من وصف الحياء المستدعي للاحتجاب من الأجانب، وهو ما يزيد الهيئة التي يتألف منها المشبه به (المرأة + اللثام) ائتلافاً والتحاماً.

سُهيل:

قال القلقشندي[٤١] في التعريف به: «كوكبٌ أحمر منفردٌ عن الكواكب، ولقربه من الأفق كأنّه أبداً يضطرب، وهو من الكواكب اليمانية». وأبو العلاء وغيره من الشعراء يهتمون عند توظيفهم الفني له بهذه الخصائص: الاحمرار، والانفراد، والخفقان كما سنرى.

– فهو يقول في نعت ارتحال بعض ممدوحيه:

كأنّك مِن كواكبه سُهيلٌ   إذا طلَعَ اعتزالاً وانفرادا[٤٢]

فالممدوح يسافر ليلاً وحده فيشبه بهذا التفرّد سُهيلاً لانفراده عن الكواكب، وهذا المعنى توارد عليه الشعراء، فيقول النابغة الجعدي في وصف ثور وحشي:

فبات عَذوباً للسماء كأنّه   سُهيلٌ إذا ما أفردَته الكواكبُ[٤٣]

وقال ذو الرمّة:

إذا سُهيلٌ لاح كالوقودِ   فرداً كشاة البقر المطرودِ[٤٤]



- ويرسم أبو العلاء لوحة فنّيةً لسهيل تحفل بجملة من التشبهات المختلفة يلحظ فيها وجوهاً من الشبه متعدّدة، حيث يقول في وصف ليلة طويلة:

وسُهيلٌ كوَجْنَةِ الحِبِّ في اللو	نِ وقلبِ المحِبِّ في الخفَقانِ
مُستبِدّاً كأنّهُ الفارِسُ المُعْـ	ـلِمُ يبدو مُعارِضَ الفرسانِ
يُسرِعُ اللَّمحَ في احمرارٍ كما تُسـ	ـرِعُ في اللَّمحِ مُقلَةُ الغضبانِ
ضرّجتْهُ دماً سيوفُ الأعادي	فبكتْ رحمةً له الشِّعْرَيانِ
قدماهُ وراءَهُ وهو في العجْـ	ـزِ كساعٍ ليستْ له قدمانِ[٤٥]

ففي البيت الثاني يصور سهيلاً في انفراده عن سائر الكواكب بصورة فارس شجاع يهجم وحده على كتيبة من الفرسان، وتقريراً لشجاعته أشار إلى أنه قد أعلم نفسه بعلامة مميزة ليُعرف بها وسط المعركة كما جرت بذلك عادة الشجعان تنبيهاً إلى طلبهم مبارزة نظرائهم وأكفائهم، ثم يصور لمعانه في سرعته واحمراره بلمعان عين الغضبان في سرعتها واحمرارها[٤٦]. وهما تشبيهان مبتكران جمع فيهما أبو العلاء بين أشياء متباعدة، فألّف بينها في اتفاق عجيب خصوصاً التشبيه الثاني الذي مزج فيه بين البعدين اللوني والحركي، هذا مع ما في الجمع بين التشبيهين من التناسب والانسجام؛ لأن الفارس في حال القتال تحمر عيناه وتتقد حماسته كالغضبان.

أما البيت الأول فيشتمل على تشبيهين، شبّه فيهما لون سهيل بوجنة الحبيب حين تحمرّ خجلاً وحياءً، واضطرابَه بخفقان قلب المحب عند رؤية من يحب، والتشبيه الثاني وإن كان مطروقاً كما في قول ابن طباطبا:

وسُهيلٌ كأنّه قلبُ صَبٍّ	فاجأتْهُ بالخوفِ عينُ الرقيبِ[٤٧]

فإن لبيت أبي العلاء عليه ميزة وفضلاً، فقد راعى التناسب بين التشبيهين فجاءا متلاحمين متآلفين لانتمائهما إلى عالم واحد كما هو الحال في التشبيهين السابقين اللذين كانا من عالم الحرب والغضب، ويشير التبريزي[٤٨] إلى هذا الجانب



بقوله: «مِن شأن المحبّ إذا رأى الحبيبَ أن يخفق قلبه، والمحبوب إذا رأى من يحبّه واستحيا احمرّتْ وَجنتُه».

وفي البيتين الأخيرين يمزج أبو العلاء بين الأسطورة العربية القديمة وفكرة الصورة السابقة، حيث يسقط الفارس سهيل مُضرّجاً بدمائه عقب تلك المنازلة غير المتكافئة ليعود التشبيه إلى تأكيد البعد اللوني من الصورة، ويقتبس من الأسطورة ما يتلاءم مع الموقف وهو بكاء الشِّعْرَيين؛ فالعرب تزعم أنهما أختا سُهيل ففارقهما منحدراً فصار يمانياً، فبكت (الغُميصاء) – إحدى الشِّعْرَيَيْن – لفقده وهي في المجرّة لا تنظر إليه لما أصاب عينيها من الغَمَص – وهو: القَذى –، وأما الأخرى (العَبور) فقد عبرت إليه المجرّة فهي تنظر إليه وفي عينها عبرة أي: دمعة[٤٩].

– ويُوظّف أبو العلاء هذه الأسطورة مرة أخرى عند تصويره لتجلد إحدى النساء ووفرة عقلها في قوله:

رَزانُ الحِلمِ لو رُزِئتْ سُهيلاً أوِ الشِّعْرَى لما نهضتْ مُرِنّهْ[٥٠]

والمعنى أنها لو كانت إحدى الشِّعرَيَيْن ففقدت أختها أو سهيلاً لما بكت عليه.

وإذا عدنا إلى الصورة الممتدة لسهيل فإنّ أبا العلاء يمضي في تفتيق معانيها التي بدأت بمواجهة مع الفرسان وما شابها من انفعال تجلّى في احمرار العيون ثم سقوط سهيل مضرجاً بدمائه، وفي تصوير مشهد السقوط نلحظ أنّ أبا العلاء لسعة معرفته اللغوية والفلكية يتنبه لكوكبين يقعان خلف سهيل يقال لهما (قدما سهيل)، فيجد في ذلك ما يعينه على توظيف هذا المشهد لخدمة الغرض الرئيس الذي سيقت الصورة الممتدة كلها لأجله، وهو بيان طول الليل؛ فسهيل عاجز عن النهوض مرة أخرى من كبوته وأنّى لقدميه أن تعيناه على ذلك وقد صارا وراءه! فهو في عجزه هذا كمن يحاول أن يسعى ماشياً بلا قدمين، وبالطبع فلا سبيل له إلى ذلك.

وبالجملة فإن أبا العلاء يضع بين أيدينا ما يصلح أن نسميه صورة مسرحية ممتدة، بطلها سهيل الذي يتجسد في أدوار بيانية متآلفة، وفي إطار لا يخلو من مراعاة



للأبعاد اللونية والشكلية والحركية عبر مزج بين الأسطورة الخرافية والمعلومة الفلكية والفكر اللمّاح المسدّد في اختيار المشبهات الملائمة للموقف.

- وعوداً على قدمي سُهيل فإن أبا العلاء يذكرهما مرّة أخرى في قوله:

وقد أثبتُّ رجلي في رِكابٍ ... جعلتُ مِن الزِّماعِ له بِدادا
إذا أوطأتُها قدَمي سُهيلٍ ... فلا سُقيتْ خُناصرةَ العِهادا[٥١]

فقوله (أوطأتُها قدمي سُهيل) كنايةٌ عن بلوغ الذروة من الشرف، وجليّ أنه إنما اختار قدمي سُهيل – دون سائر الكواكب مع صلاحيتها للكناية عن ذلك – طلباً للتناسب الذي تجده بين الرِّكاب والوطء من ناحية والقدم من ناحية أخرى، وهو ما دعاه البطليوسي[٥٢] (المشاكلة بين الألفاظ).

بنات نعش:

وهي سبعةُ أنجم على القرب من القطب الشمالي، منها أربعة في صورة نعشٍ وثلاثةٌ أمامه مُستطيلةٌ وهي المُعبّر عنها بالبنات، وتُعرف هذه ببنات نعشٍ الكبرى. وبنات نعش الصغرى سبعة أيضاً غير أنّ الكبرى أضوأ منها[٥٣].

وتعاملُ أبي العلاء مع هذه المجموعة النجمية ينصب على لقبها لا شكلها، فتراه يجانس بين نعش المَرثيّ ونعش النجوم في قوله:

وما نعشُهُ إلّا كنعشٍ وجدتُهُ ... أباً لبناتٍ لا يخَفنَ من اليُتمِ[٥٤]

فهو يشبه نعشه في العلوّ والشرف بالنعش الذي في السماء والذي كنى عنه بأنه أبٌ لبناتٍ لا يخفن يتماً لأنهن في الحقيقة نجوم ولسن ببنات على الحقيقة.

- وتراه أيضاً ينوّه بالعلاقة الأبوية المدّعاة بين نعشٍ وبناته عند الحديث عن ليلةٍ شديدة الإظلام:

ولو نَشَدَتْ نعشاً هناك بناتُهُ ... لماتتْ ولم تَسمعْ له صوتَ مُنشِدِ[٥٥]

فلو ضلّ فيها نعش لفُقد ولم يُوجَد لشدة ظلمة هذه الليلة وأهوالها ولو مضت بناته في طلبه إلى أن تموت لما اهتدت إليه ولم تجد من يعرّفها بمكانه. ولا ريب أنّ



توهّم هذه العلاقة سوّغ له أن يصوّر اهتمام بنات نعش بالبحث عن أبيها، كما أن ذِكْرَ الموت الذي هو المصير المشترك للأب والبنات معاً متناسب مع ذكر آلته: النعش.

- وتراه يلحظ أيضاً الصفة الأنثوية في اللقب (البنات) حينما يستعير لهن لقب الغواني – وهنّ اللاتي غنينَ عن التزيّن والتجمّل – في قوله:

وبدتْ مِن بناتِ نعشٍ غَوانٍ لم يُصِبها مِن إثمِدِ الليل كاحِلُ[٥٦]

ويرشّحُ الاستعارة بوصف يلائم المستعار منه – الغواني – وهو قوله (لم يصبها من إثمد الليل كاحل)، وربما كان تركهن الاكتحال تعبيراً عن الحزن على موت عزيز وتمثلاً لطقوس الحِداد، وكيف لا يكون الأمر كذلك وهنّ بنات نعش مع ما يوحي به التركيب الإضافي (بنات/نعش) من صلة وثيقة بالموت والفناء، فالنعش سرير الميّت.

- ولا يُخفي أبو العلاء ولعَه بأن يدلي بدلوه بمعرفته الفلكية واتخاذها معياراً لانتقاء عناصر الصورة الفنية ضمن العناصر الكثيرة المتاحة له كما في وصفه للإبل حيث يقول:

كأنّ ظِماءهنّ بنات نعشٍ يرِدْنَ إذا وَرِدْنَ بنا الثِّمادا[٥٧]

إذ إنّ بجوار مجموعة بنات نعش النجمية مجموعة (الحوض) التي تتألّف من سبعة كواكب مستديرة غير متقارنة على شكل نصفِ دائرة[٥٨]. فأبو العلاء يشبّه بلوغ الإبل الظامئةِ الثمادَ – مع قلة مائها – ببلوغهن بنات نعشٍ ليصوّر بذلك مدى سرورها وابتهاجها، فكأنها نالت بذلك نجوم السماء، ولم يكن اختصاصه بناتِ نعش بذلك دون بقية النجوم أمراً اعتباطياً فقد حفزَه على ذلك حرصُه على المشاكلة اللفظية والتناسق المعنوي لما بين بنات نعش والحوض من التجاور المكاني الفلكي الذي يتناسب أيضاً مع طبيعة المشبه (الظماء).

الثريّا:

وهي ستة أنجم صغار في شكل مثلث متساوي الساقين[٥٩].



- فمن صورها التقليدية في شعره قوله:

إذا الصبحُ أعطى العينَ عُنقودَ كَرمةٍ   مُلَاحِيَّةٍ ما أمَّلَتْ أخْذَه اليدُ[٦٠]

وقوله:

ما الثريّا عنقودُ كَرْمٍ ملاحيٌّ (م) ولا الليلُ يانِعٌ غِرْبيبُ[٦١]

فتشبيه الثريا بعنقود مُلاحيّة مما توارد عليه الشعراء. قال أبو قيس بن الأسلت الشاعر الجاهلي:

وقد لاحَ في الصبحِ الثريّا لمن رأى   كعنقودِ مُلاحيّةٍ حين نَوّرا[٦٢]

- ومن هذا قوله:

فليتَ وَشْحَ الثُّريّا لم تَزِنْ أُفُقًا   وقُرْطَها فوقَ أُذنِ الغربِ لم يَنُسِ[٦٣]

فتشبيه الثريا بالوشاح سبق إليه امرؤ القيس في قوله:

إذا ما الثريّا في السماء تعرّضَتْ   تعرُّضَ أثناءِ الوِشاحِ المُفصَّلِ[٦٤]

وتشبيهها بالقُرط سبق إليه الأشهب بن رُميلة - الشاعر المُخضرَم - في قوله:

ولاحتْ لساريها الثريّا كأنّها   لدى الأفقِ الغربيِّ قُرْطٌ مُسلسلُ[٦٥]

- على أنه ينفخ في الصورة روحاً من التجديد حين يصف امرأة فيقول:

قُريطيّةُ الأخوالِ ألمعَ قُرْطُها   فسَرَّ الثريّا أنها أبداً قُرطُ[٦٦]

فهو يُصوّر جمالها الباهر الذي زانه القُرط البرّاق حتى بلغ من حُسن هذا المنظر المُعجِب أن الثريا تُسرّ بنعتها بالقُرط لأنه يُدنيها من درجة حسنها الفائق. ويبدو بجلاء أن افتتان أبي العلاء بالتجنيس بين القُريطية والقُرط كان له أثره الكبير في بناء الصورة على هذا النحو.

- ومن صورها التقليدية قوله في وصف ليل طويل:

كأنّ الثريّا والصباحُ يَروعُها   أخو سَقطةٍ أو ظالِعٌ مُتحامِلُ[٦٧]

يعني أن الثريّا لما فاجأها الفجر كانت منهكة من مسير السُّرى طوال الليل فنهضت للمغيب بطيئة متثاقلة، وقد شبهها في هذه الحال بالذي قد سقط من دابة أو



أصابه ظَلَعٌ – وهو عرجٌ يسير – فهو يتحامل على ما به من ضعف ووهن. وقد كرّر هذا المعنى في قوله:

وَلِتَركبِ الجُنْحَ لا عَوْداً ولا فرساً ... كأنّما الشُّهْبُ فيه الأينُقُ الظُّلُعُ(٦٨)

والسابق إلى ذلك – كما ذكر البطليوسي(٦٩) –: المُخضرَم سُويد بن أبي كاهل في قوله:

يسحبُ الليلُ نجوماً ظُلَّعاً ... فتَوَاليها بطيئاتُ التَّبَعْ(٧٠)

ومنه قول المتنبي:

النومُ بعدَ أبي شُجاعٍ نافِرٌ ... والليلُ مُعْيٍ والكواكبُ ظُلَّعُ(٧١)

– ومن توظيفه للثريّا في مقام المدح قوله:

وقد بَسطتْ إلى الغربِ الثريّا ... يداً غَلِقَتْ بأنملِها الرِّهانُ

كأنّ يمينَها سَرَقتْكَ شيئاً ... ومَقطوعٌ على السَّرَقِ البَنانُ(٧٢)

للثريّا كفّان: جذماء تتألف من كواكب متفرقة أسفل الشرَطين ولقّبت بذلك لبعدها عن الثريا، وكفٌّ خضيب تتألف من خمسة كواكب بيض في المجرّة حيال الحوت(٧٣). وأبو العلاء يروم إثبات سطوة الممدوح وهيبة سلطانه فيدّعي – على سبيل الإغراق في المبالغة – أن الثريا إنما قُطِعت كفُّها لأنها سرقت من الممدوح شيئاً فعوقبت بذلك، وأما كفّها الأخرى فمغلولة مقيّدة لا تقدر على تحريرها لأنها استدانت منه ما لا تقدر على الوفاء به، فكان جزاؤها أن تكون مبسوطة على هذا النحو. ولا تجد في هذه الصورة ما يستدعي الإعجاب والاستحسان لما فيها من التكلّف المبالغ فيه الذي يمجّه الطبع ويرفضه العقل، على أننا نتفهم طبيعة الموقف حين نعلم أن القصيدة بجملتها تسري فيها روح المبالغة الممقوتة، ويكفي للتدليل على ذلك قوله فيها:

ولولا قولُك الخلّاق ربّي ... لكان لنا بطلعتِكَ افتتانُ!!

السِّماكان:

السِّماك الأعزل: كوكبٌ نيّر يميل لونه إلى الزّرقة، وهو من منازل القمر.



والسماك الرامح: نجم يطلع بجوار الأعزل، ولقّب بالرامح لكوكب صغير بين يديه، والأعزل لا شيء بين يديه[٧٤].

- وقد ورد ذكر السماك في قول أبي العلاء مهنّئاً أبا القاسم التنوخي بمولودٍ:

متى نزلَ السِّماكُ فحلَّ مهداً تُغذّيه بدِرّتِها الثُّديُّ؟![٧٥]

حيث استعار السماك للمولود لبيان علوّ شأنه وقدره، وترسيخاً لمفهوم الادّعاء الذي تقوم عليه فكرة الاستعارة فقد ساقها في صورة الاستفهام التعجّبي من نزول السماك من عليائه وحلوله مهداً. ويثير بعض شرّاح السقط[٧٦] تساؤلاً حول اختيار السماك دون الشمس والقمر اللذين جرت العادة أن يشبّه بهما الوجه الحسن، فيعلّل ذلك بأن المراد تشبيه وجه المولود باللمعان الذي يشتهر به السِّماك، ولا يخفى ضعف هذا الرأي؛ لأن درجة لمعانه مهما علت فلن تفوق تلألؤ الشمس والقمر، لكنه يوفّق للصواب حين يلحظ أن السِّماك من الأنواء المعروفة بغزارة أمطارها، فجَعْلُه في البيت يُغذّى مع أنه في العادة يدرُّ ويغذّي يزيد الموقف غرابة وتعجّباً، فيكون الإنكار قد أُوقع موقعَه.

- ومن التشبيهات التي يبدو فيها اختيار السِّماكين دون سائر النجوم لا مسوّغ بيانياً له قوله مادحاً:

فعيشا أبيَّيْن للمُخْزياتِ مِثلَ السِّماكَين لا تأبوانْ[٧٧]

الشِّعْرَيان:

وهما العَبور والغُميصاء نجمان مُزهِران، والعَبور هي المشهورة بالحُمرة والضوء ولذا يشبهونها بالنار كما قال ابن قتيبة[٧٨]، وأبو العلاء لا يخرج في تعامله معهما عن هذا الوجه كما في قوله:

ألم ترَ للشِّعْرى العَبورِ توقّدتْ بعالٍ رفيعٍ لم تَنلْهُ القوابِسُ[٧٩]

وقوله:

وإذا شبّتِ الشِّعرَيان الوقودَ ففي الحكمِ أنهما يخبوان[٨٠]



وقوله في تشبيه نار الكرماء بها:

كأنّ ضيوفَهم والنارُ تُذكَى ... لهم بتوقُّدِ الشِّعرى صُلِيٌّ[٨١]

ويشير إلى علوّها وارتفاعها في قوله في وصف الإبل:

ووافتْ رِعاناً للرِّعانِ كأنّما ... تُحادثُها الشِّعرى العَبورُ سِرارا[٨٢]

وعلّق البطليوسي على هذا التشبيه بالقول: «وهذا كما قال علي بن الجهم:

وقبّةِ مَلْكٍ كأنّ النجو ... مَ تُفضي إليه بأسرارها[٨٣]

ولم يخصُص الشِّعرى العَبور بمعنى، إنما أراد نحو ما ذكره ابن الجهم فلم يُمكِنه»[٨٤].

النجم والكوكب:

وتوظيف أبي العلاء لهذين المصطلحين في تصويره الفني مقتصر على الصفات العامة التي تشترك فيها سائر النجوم، فلا ينفرد بها نجم دون آخر. من ذلك:

– تشبيه الأبيات الشاردة السائرة بالكواكب:

كما في قوله:

تذود عُلاك شُرّادَ المعاني ... إليّ فمن زهيرٌ أو زيادُ؟!

إذا ما صِدتها قالت رجالٌ ... ألم تكنِ الكواكبُ لا تُصادُ؟![٨٥]

وقوله:

ولقد غصبتُ الليلَ أحسنَ شُهبِه ... ونَظَمْتُها عِقداً لأحسنِ لابسٍ[٨٦]

وقوله في مدح شاعر:

إنّا بعثناك تبغي القولَ من كثبٍ ... فجئتَ بالنجمِ مَصفوداً مِن الأفقِ[٨٧]

وقوله في رثاء والدته:

ومَن لي أنْ أصوغَ الشُّهبَ شعراً ... فأُلبِسَ قبرَها سِمطَي نظامِ[٨٨]

وقد سبقه إلى هذا المتنبي في قوله:

كأنّ المعاني في فصاحة لفظها ... نجومُ الثريّا أو خلائقُك الزُّهْرُ[٨٩]



- تشبيه الممدوحين بالكواكب:

وهو باب أكثرَ من طَرْقِه الشعراء في مختلف الأعصار حتى غدا من المعاني العامة المشتركة بينهم، فمن ذلك قوله في وصف بعض ممدوحيه:

بدَوْسرَ جاورتَ الفُراتَ مُكرَّماً ... كأنّك نجمٌ في علوِّ المنازلِ(٩٠)

وقد خصّ أبو العلاء أولاد الممدوحين بهذا الضرب من التشبيه كما في قوله في رثاء علويٍّ:

وجرتْ في الأنام أولادُه السـتّـ (م) ـةُ مجرى الأرواحِ في الأبدان

فهمُ السبعةُ الطوالعُ والأصْـ ... ـغر منهم في رُتبةِ الزِّبْرِقانِ(٩١)

وقوله في رثاء والد الشريفَين الرَّضيّ والمرتضى:

أبقيتَ فينا كوكَبين سَناهما ... في الصُّبحِ والظلماءِ ليس بخافِ

متأنّقينِ في المكارمِ أُرتعا ... متألّقينِ بسُؤددٍ وعفافِ

قدَرَين في الإرداء بل مطرَين في الـ ... إجداء بل قمرَين في الإسدافِ(٩٢)

وقوله في قدوم مولود:

وصُغتُ في الواردِ المأمولِ تهنئةً ... وجاء كالنجم أسقينا به المطرا(٩٣)

وقوله في رثاء علويٍّ:

أبي السبعةِ الشُّهْبِ التي قيل إنها ... مُنفِّذةُ الأقدار في العُرب والعُجْمِ(٩٤)

- صور أخرى:

من الصور البديعة التي يتجلّى فيها حذق الصنعة البيانية عند أبي العلاء: صورة يعبّر فيها عن ظهور بواكير الشيب وما يثيره في النفس من حزن واكتئاب حين يقول:

إذا نجومُ قَتيرٍ في الدُّجى طلعَتْ ... فللجفون من الإشفاق أنواءُ(٩٥)

وسر جمالها ليس في تشبيه الشيب بالنجوم فإن أبا العلاء قد سُبق إليه كما تراه في قول الفرزدق:



تفاريقُ شيبٍ في السوادِ لوامعٌ وما حُسْنُ ليلٍ ليس فيه نجومُ؟![٩٦]

ولكنّ حُسنَها يتجلّى فيما يُمكن أن نستعير له من مصطلحات البديع لقب (الاستخدام البياني) – تجوّزاً[٩٧] –، وذلك حين يُوظَّف المشبه به لأداء دورين مُتباينَين في سياق التشبيه، ففي البيت شُبّه ظهورُ الشيب وسطَ الشعر الأسود بالنجوم المتلألئة في الظلام، ووجه الشبه الجامع بين الاثنين: ظهورُ أجرام بيضاء متفرقة وسط شيءٍ أسود، حيث يُلحظ من النجم هنا الجانب اللوني، ثم تتطوّر دلالة المشبّه به نفسه ليأتي جواب الشرط وقد لُحظ فيه التلازم الزمني بين النوء (النجم) والمطر، فإذا كان ظهور نجوم الأنواء في السماء مبشِّراً عادة بالمطر السَّكوب فإنّ ظهورَ نجوم الشيب مؤذن بالدمع المنسكب من الجفون حزناً على فراق عهود الصبا والشبيبة.

– ومن الصور التي يبدو أثر النظرة المتشائمة إلى الكون والحياة في تشكيل بنيتها واضحاً قوله:

كأنّ نجومَ الليل زُرقُ أسِنّةٍ بها كلُّ مَن فوقَ الترابِ طَعينُ
ولائحُ هذا الفجر سيفٌ مُجرَّدٌ أعان به صَرْفَ الزمانِ مُعينُ[٩٨]

إنه لا يتغيّا من تشبيهه النجوم بالأسنّة الزرقاء اللامعة التي أتُقن صقلُها ما يتغيّاه عادةً أهل البيان[٩٩]، وهو التشابه الشكلي الظاهري فقط، بل إنّه – بالنظر إلى فلسفته القائمة على تحويل مناظر الكون البهيجة إلى مادة للتشاؤم واليأس – يتوهّم أن وجه الشبه بين الاثنين يتمثل في قدر الإضرار والإتلاف اللاحقين بالخلق بسببهما، فلئن كانت الأسنة وسيلة للطعان وإراقة للدماء فإن النجوم تنحو ذلك النحو في تربُّصِها ببني البشر – على حدّ زعمه – بل إنها لتتفوق عليها في هذا الباب؛ إذ لا يسلم من شرها أحد بدلالة العموم المستفاد من (كلّ) في عجز البيت الأول، ويُرشّح هذه الصورة بصورة أخرى من المادة نفسها وللغاية عينها حين يدّعي أنّ الفجر – ذلك المشهد الشاعري الفاتن – ليس إلا سيفاً مُسلّطاً على رقاب العباد ليعين صروف الدهر عليهم!.



- ويُصوّر أبو العلاء الفجر بالسيف في موضع آخر من شعره لكن بنفسٍ خِلْوٍ من هذه الروح المتشائمة، وقد اكتسى عوض ذلك بعض الظَّرَف والطرافة حيث يقول:

ثمّ شابَ الدُّجى وخاف مِن الهجْـ ـرِ فغطّى المَشيبَ بالزّعفرانِ
ونَضَا فجرُه على نسرِه الـ ـواقعِ سيفاً فهمَّ بالطيرانِ(١٠٠)

فقد كنّى عن انصرام الليل ورحيله بطيران النسر الواقع، والمراد غياب المجموعة النجمية المعروفة بهذا اللقب الفلكي، مستغلاً بذلك التورية اللطيفة المتولدة من دلالة (النسر) ورشّحها بوصف (الواقع) ليتلاءم مع الطيران الطارئ عليه عند رؤية سيف الفجر المُشهَر.

- وثمّ للفجر صورة جميلة متفائلة في شعره على النقيض تماماً من هذه الصورة وإن تألفت من العناصر ذاتها، وذلك في قوله:

ويطلعُ الفجرُ وفوقَ جفنِهِ من النجومِ حليةٌ لم تُحرَزِ(١٠١)

فالفجر هنا كالسيف لكن في البريق واللمعان - بعكس الصورة السابقة -، وجفنُه (الغمد) مطرّز بحلية من النجوم، ووُصفت هذه الحلية (بأنها غير مُحرَزَة ولا محفوظة لأنّ النجومَ لا تلبث أن تغيب لغلبة ضوء النهار)(١٠٢).

- ومن الصور التقليدية من هذه المادة: تشبيهه حلية المرأة الزائرة ليلاً بالنجوم وذلك في قوله:

زارتْ عليها للظلامِ رِواقُ ومِن النجومِ قلائدٌ ونِطاقُ(١٠٣)

- ونجد لنجم الرَّجم في شعر أبي العلاء صورتين:

الأولى: وتعنى بالجانب الشكلي للسقوط السريع للنجم في هيئة خطٍّ متعرّج يلوح في ظلمة السماء، وذلك في قوله في وصف تكسّر الرماح على تلك الدرع المُحكَمة السَّرْد:

كنجمِ الرّجمِ صُكَّ به مَريدٌ فأبدع في انجذامٍ وانعراجٍ(١٠٤)

فهو يشبه تحطُّمَ سِنان الرمح حين اندقّ في هذه الدرع فتفتّت أجزاؤه بتلك



الصورة المشاهدة عند رميّ شيطان من الجنّ بشهاب سماوي، فتراه يهوي سريعاً نحو الأرض في خط متعرّج. وهذا التشبيه وإن كان مقتبساً من قول أبي تمام:

ولّتْ شياطينُهم عن حدّ ملحمةٍ كانتْ نجوم القنا فيها لهم رُجُما(١٠٥)

فإن أبا العلاء قد تفوّقَ بالاعتناء بالبُعدين الشكلي والحركي في طرفي التشبيه وذلك عبر التركيز على لحظة الاصطدام وما يتولد عنها من لوحة سماوية باهرة، وهو ممّا يُحسَب لصالحه.

الثانية: وتُعنى بالجانب العقدي المتّصل بالتّصوّر الإسلامي لهذا المشهد الفلكي، القائم على أن هذه الشهب تمثل حراسة ربانية لحجب السماء من مسترقي السمع من الجنّ والشياطين ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجنّ: ٩]، وما يترتّب على النظر إليها من هذه الزاوية من تفخيم لشأنها وتهويل لأمرها، وما يستتبعه ذلك من تقوية لهذا الشعور النفسي في الموقف الذي تُساق الصورة من أجله، فهو يقول في رثاء علويٍّ:

ويا حاملي أعوادِه إنّ فوقَها سماويَّ سرٍّ فاتقّوا كوكبَ الرَّجم(١٠٦)

فهو يدّعي أن فوق النعش سرّاً إلهياً خطيراً، وترشيحاً؛ لذلك يُحذّر حامليه من محاولة الاطّلاع عليه لئلا يصيبهم ما يصيب كل من يحاول انتهاك حجب هذه الأسرار وهو الرجم بالكوكب. ولست تجد في هذا ما تجده في سابقه من اللذة والإحساس بالجمال لافتقاد التناسق والتناسب بين مكونات الصورة التي لا يُؤلّف بينها غير تلك الدعوى غير المقنعة القائمة على الإغراق في المبالغة.

- **أمّا تصوير النجوم نفسها** فثمة صورتان تقليديتان لها وردتا في شعره:

١ - في قوله واصفاً ليلة طويلة:

في بلدةٍ نهارُها ليلٌ سوى كواكبٍ إلى النهار تعتزي

كأنّها سِربُ حمامٍ واقعٌ في شَبَكٍ مِن الظلامِ تنتزي(١٠٧)

فالليلة لطولها كأنها قد وُصلت بالنهار، وكواكبها تنتسب إليه لأن نورها مقتبس من نور شمسه، ثم يُشبّهها بسرب حمامٍ علِق في شبكة، فهي تنتزي - أي:



تثب – وتجاذب حبالها محاولة التخلص منها، ومراده أن الكواكب كأنها مقيّدة بأغلال الظلام فلا تقدر على أن تسير سيرها المعتاد كلّ ليلة، وهو نظير قوله في قصيدة أخرى:

أبلّ به الدّجى من كلّ سَقمٍ ... فكوكبُه مريضٌ ما يُعادُ
ولو طلعَ الصباحُ لفُكَّ عنه ... من الظلماءِ غُلٌّ أو صِفادُ(١٠٨)

ويشير البطليوسي شارح السقط(١٠٩) إلى سبق امرئ القيس إلى مثل هذه الفكرة حول أغلال الليل التي تقيّد سير النجوم وتمنعُها من السُّرَى في قوله:

فيالَك مِن ليلٍ كأنّ نجومَه ... بكلِّ مُغار الفَتلِ شُدَّتْ بيَذبُلِ
كأنّ الثريّا عُلِّقتْ في مَصامِها ... بأمراسِ كِتّانٍ إلى صُمِّ جندلِ(١١٠)

قلت: ومن هذا قول الأعشى:

فبتُّ بليلةٍ لا نومَ فيها ... أكابِدُها وأصحابي رُقودُ
كأنّ نجومَها رُبِطتْ بصَخرٍ ... وأمراسٍ تدور وتستريدُ(١١١)

٢ – وقوله:

سُبحان مَن برأ النجومَ كأنّها ... دُرٌّ طفا مِن فوقِ بحرٍ مائجِ(١١٢)

وتشبيه النجوم بالدرّ تشبيه مألوف مطروق، ومن السابقين إليه ابن وكيع في قوله:

حتى بدتْ زُهْرُ النجومِ كأنّها ... دررٌ نُثرنَ على بساطٍ أزرقِ(١١٣)

لكنّ أبا العلاء استبدل البحر بالبساط الأزرق مُراعياً ما بين الدُّرِّ والبحر من التناسب فكان اختياره موفّقاً، غير أن التزامه ما لا يلزم اضطره إلى وصف البحر بالمائج، وهو ما أفسد التشبيه؛ إذ إن إصابة الوصف تقتضي كون البحر في حال سكون وهدوء ليتسق مع منظر السماء الزرقاء بنجومها اللامعة الثابتة.

هوامش الفصل الأول

١ - **السقط**، ص ٦٩.

٢ - ابن المعتز، عبدالله: **الديوان**، تحقيق د. عمر الطباع، بيروت، دار القلم، د.ت، ٢٣١/٢.

٣ - **اللزوميات** (٦٦/١). وسيف مذرّب: مسموم.

٤ - **المصدر السابق** (٣٧٥/٢). والحُجْن جمع أحجن، يقال: صقر أحجن المخالب أي: معوجّها.

٥ - انظر ص ٤٤ من هذا البحث.

٦ - **السقط** ص ٢٢٧.

٧ - البطليوسي، عبدالله بن محمد بن السّيد: **شرح السقط** (ضمن مجموعة شروح السقط) بتحقيق جماعة من الأساتذة بإشراف طه حسين. ط٣/ القاهرة/الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦. (١١٣٢/٣).

٨ - ابن ظافر، علي بن ظافر المصري: **غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات**. تحقيق الدكتورين زغلول سلام ومصطفى الجويني. القاهرة/دار المعارف/١٩٨٣. ص١٧. والمنسر: منقار الطائر.

٩ - **اللزوميات** (٨٩/٢).

١٠ - **المصدر السابق** (١٨١/١).

١١ - **المصدر السابق** (٨/٢). أبرّ: غلب. وأزّ الشيء: حرّكه حركةً شديدة. وأبرواز: ملك من ملوك الفرس.

١٢ - **السقط** ص ١٨٨. وتليقك: تُمسِكك.

١٣ - **المصدر السابق** ص ٢٤٧.



وابن هلال هو: علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البوّاب (ت ٤٢٣هـ) خطّاط مشهور.

١٤ – ابن ظافر، **غرائب التنبيهات** ص ١٤ – ١٥.

١٥ – الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد: **محاضرات الأدباء**، بيروت، مكتبة الحياة، د.ت. (٢/ ٥٣٩).

١٦ – المرجع السابق. وانظر: السريّ الرفاء، **ديوانه**، ص١٣ القاهرة/ط القدسي/ ١٣٥٥هـ.

١٧ – **السقط** ص ٨٥.

١٨ – ابن المعتز، **ديوانه** ص ٢٣.

١٩ – الدمشقي، الوأواء، **ديوانه** تحقيق سامي الدهان، ط٢، بيروت، دار صادر ١٩٩٣ ص ١٣٩.

٢٠ – **اللزوميات** (٢/ ٢٦٣).

٢١ – عمرو بن قميئة، **ديوانه** [تحقيق حسن الصيرفي، القاهرة، ط معهد المخطوطات، ١٩٦٥] ص١٩٣. وابن مزنتها: الهلال. والفسيط: قلامة الظفر، ويروى (قَصيص).

٢٢ – **غرائب التنبيهات** ص١٦.

٢٣ – **السقط** ص ٧٢.

٢٤ – الفرزدق، **ديوانه** [بيروت/ط دار صادر/د.ت.] (٢/ ٧٠–٧١).
والجحاجح: جمع جحجح وهو السيّد. وعال: فدُح وثقُل.

٢٥ – **السقط** ص ١٢٣. والأعراض هنا: جمع عِرض وهو الجسد. انظر: شروح **السقط** (٢/ ٧٠٥ – ٧٠٦).

٢٦ – **المصدر السابق** ص ١٤٩.

٢٧ – **المصدر السابق** ص ١١٦.

٢٨ – المصدر السابق ص ١١١ – ١١٢. والسرار: آخر الشهر لاستسرار القمر فيها.

٢٩ - **السقط**، ص ٢٠٠.

٣٠ - **في شرح السقط** (٢/٦٢٥).

٣١ - **السقط**، ص ٩٩.

٣٢ - **المصدر السابق** ص ٧٢.

٣٣ - **المصدر السابق** ص ٨١.

٣٤ - **المصدر السابق** ص ٢٠٠.

٣٥ - **المصدر السابق** ص١٣٣.

٣٦ - **المصدر السابق** ص١١٧. السذق: عيد للفرس يوقدون فيه النار ليلاً. واليقق: الأبيض. والمراد بخيطه الفجر الصادق. انظر: **شروح السقط** (٢/ ٦٧٥ - ٦٧٧).

٣٧ - وهو الخوارزمي **شروح السقط (٢/٦٧٧)**.

٣٨ - أبو تمام، **ديوانه** بشرح التبريزي/تح محمد عزّام/ط٣/القاهرة/دار المعارف ١٩٨٣ (٤/١١٥).

٣٩ - **السقط**، ص ١٦٩.

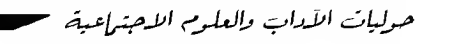
٤٠ - **المصدر السابق** ص١٠٨. والخريدة: المرأة الحيية. والنقع الأحمّ: الغبار الأسود.

٤١ - القلقشندي، أحمد بن علي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. القاهرة/ مصوّرة الطبعة الأميرية. (٢/١٧٣).

٤٢ - **السقط**، ص ٢١٥.

٤٣ - النابغة الجعدي، **ديوانه** ص٢١ [تح واضح الصمد - ط١/بيروت/دار صادر ١٩٩٨] و**اللسان** مادة (ع ذ ب). والعذوب الذي ليس بينه وبين السماء سترٌ.

٤٤ - ذو الرمّة، **ديوانه** (١/٣٤١ - ٣٤٢). والوقود: النار. وشاة البقر: الثور، والمراد في البياض والانفراد.





٤٥ – **السقط** ص ٩٥.

٤٦ – **شروح السقط** (١/٤٣٥).

٤٧ – الصفدي، خليل بن أيبك: **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**. تحقيق هلال ناجي. ط١، لندن، إصدارات مجلة الحكمة ١٩٩٩. ص ١٥٦.

٤٨ – **شروح السقط** (١/٤٣٣).

٤٩ – انظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري: **الأنواء**، الهند، دار المعارف العثمانية، ٩٥٦ ص٤٧. والمرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن: **الأزمنة والأمكنة** تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٦ ص١٤١، و**شروح السقط** (١/٤٣٥ – ٤٣٧).

٥٠ – **السقط** ص ٣٣١ وفيه (أو الجوزاء)، والتصويب من **شروح السقط** (٥/٢٠٠٤). ومرنة: باكية.

٥١ – **السقط** ص ١٩٩. والزماع: العزيمة على الشيء، والبداد: لبد السرج، وخُناصرة: موضعٌ بالشام، والعهاد: مطرٌ بعد مطر.

٥٢ – **شروح السقط** (٢/٥٧١ – ٥٧٢).

٥٣ – انظر: ابن قتيبة، **الأنواء** ص ١٤٥، والمرزوقي، **الأزمنة والأمكنة** ص ٥٤٦، و**شروح السقط** (١/٣٧٦)، والقلقشندي، **صبح الأعشى** (٢/١٧٢).

٥٤ – **السقط** ص ١٩.

٥٥ – **المصدر السابق** ص ٩٢.

٥٦ – **اللزوميات** (٢/٢٦٣).

٥٧ – **السقط** ص ١٩٩. والثماد: المياه القليلة، جمع ثَمْد.

٥٨ – انظر: ابن قتيبة، **الأنواء** ص ٦٦ – ٦٧، و**شروح السقط** (٢/٥٧٣).

٥٩ – القلقشندي، **صبح الأعشى** (٢/١٦٥).

٦٠ – **اللزوميات** (١/٢٠٨). والملاحيّ: عنبٌ أبيض طويل.

٦١ – **المصدر السابق** (١/٧٩). والغربيب: من أجود أنواع العنب.



٦٢ - انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، بيروت. ط ٦ دار الثقافة ١٩٨٣ (١٧/ ٧٧)، ويُنسب لقيس بن الخطيم، انظر: القزويني، الخطيب: **إيضاح التلخيص** تحقيق د. محمد خفاجي، بيروت، الشركة العالمية للكتاب ١٩٨٩. ص ٣٤٥.

٦٣ - **اللزوميات** (٢/ ٣٩). وناس الشيء إذا تحرك وتذبذب متدليّاً.

٦٤ - امرؤ القيس، من **معلقته** انظر: ابن الأنباري، محمد بن القاسم: شرح السبع الطوال، تحقيق عبدالسلام هارون. ط٤، القاهرة دار المعارف ١٩٨٠ ص٥٠.

٦٥ - انظر: الباقلاني، محمد بن الطيب: **إعجاز القرآن** ص ١٧٤ تحقيق سيد صقر - ط٥، القاهرة، دار المعارف. وانظر: المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة** ص ٤٣٧.

٦٦ - **السقط** ص١٧٨. وقريطية نسبة إلى قرط أو قريطة من أحياء العرب. وألمع: أشرق وبرق.

٦٧ - **المصدر السابق** ص ١٩٦.

٦٨ - **اللزوميات** (٢/ ٨٩). والعَوْد: المُسنُّ من الإبل.

٦٩ - **في شرح السقط** (٢/ ٥٤٧).

٧٠ - انظر: المفضل بن محمد الضبي: **المفضّليات** ص ١٩٢. [تحقيق شاكر وهارون ط٧/ القاهرة/ دار المعارف ١٩٨٣]. والتوالي: الأواخر.

٧١ - المتنبي، **ديوانه** (٢/ ٢٦٨).

٧٢ - **السقط** ص ٦٩. الرهان جمع رهن، وغَلَقُه إذا لم يقدر مالكه على افتكاكه.

٧٣ - ابن قتيبة، **الأنواء** ص ٣٢، **وشروح السقط** (١/ ٢١٤ - ٢١٥).

٧٤ - ابن قتيبة، **الأنواء** ص ٦٢، والقلقشندي، **صبح الأعشى** (٢/ ١٦٨).

٧٥ - **السقط، ص ١٥٧.**

٧٦ - وهو الخوارزمي. انظر: **شروح السقط** (٣/ ١٣٢١ - ١٣٢٢).

٧٧ - **اللزوميات** (٢/ ٤٠٧). لا تأبوان: لا تتخذان ولداً.



٧٨ – ابن قتيبة، **الأنواء** ص ٥٢.

٧٩ – **اللزوميات** (٢/١٥).

٨٠ – **المصدر السابق** (٢/٤٠٧).

٨١ – **السقط** ص ١٥٧.

٨٢ – **السقط** ص ١١٢. رعان: جمع رَعْن من الخيل، وهو القطعة منها. وجمع رَعن الجبل، وهو أنفه وأعلاه.

٨٣ – علي بن الجهم، **ديوانه** ص ١٤٧. تحقيق خليل مردم. ط٣، بيروت، دار صادر ١٩٩٦.

٨٤ – **شروح السقط** (٢/٦٢٨).

٨٥ – **السقط** ص ٨٤.

٨٦ – **المصدر السابق** ص ١٩٢.

٨٧ – **المصدر السابق** ص ١١٧.

٨٨ – **المصدر السابق** ص ٣٩.

٨٩ – المتنبي، **ديوانه** (٢/١٥٧).

٩٠ – **السقط** ص ١٥٠. ودوسر: موضع على شط الفرات.

٩١ – **المصدر السابق** ص ٩٧.

٩٢ – **المصدر السابق** ص ٣٥. الإرداء: الإهلاك. والإجداء: الإعطاء. والإسداف: الإظلام.

٩٣ – **المصدر السابق** ص ٢٥٣.

٩٤ – **المصدر السابق** ص ٢١.

٩٥ – **اللزوميات** (١/٤٠). والقتير: هو الشيب أو أول ما يظهر منه.

٩٦ – انظر: ابن قتيبة: **عيون الأخبار** (٤/٥٢) ط١، القاهرة، دار الكتب – ١٩٢٥، وورد أيضاً في **الشعر والشعراء** له (١/٤٩٣) تحقيق أحمد شاكر. ط٣/ القاهرة/دار الحديث ٢٠٠١ بلفظ: تباريق شيب.. وما خير ليل...



٩٧ - انظر تعريف الاستخدام عند البديعيين في ص ٨٣ من هذا البحث.

٩٨ - **اللزوميات** (٢/٣٤٨).

٩٩ - وكصنيعه هو في تشبيهه النصال بالنجوم في بيت السقط (ص ١٤٧):
فجاش عليها البحر وهو كتائب وخرّتْ إليها الشُهب وهي نصال

١٠٠ - **السقط** ص٩٤. والمراد بالزعفران: الاحمرار الذي يبدو مع طلوع الفجر. والنسر الواقع يتألف من ثلاثة نجوم، ومثله النسر الطائر.

١٠١ - **المصدر السابق** ص ٢٠٦.

١٠٢ - البطليوسي (**شروح السقط**: ١/٤٢١).

١٠٣ - **السقط** ص ٢١٠. والرواق: سترٌ قدّام البيت.

١٠٤ - **المصدر السابق** ص ٢٦٦.

١٠٥ - أبو تمام، **ديوانه** (٣/١٧٢).

١٠٦ - **السقط** ص ١٩.

١٠٧ - **المصدر السابق** ص ٢٠٥.

١٠٨ - **المصدر السابق** ص ٨٢. وأبلّ: عوفي من المرض. والصفاد: القيد.

١٠٩ - **شروح السقط** (١/٣١٠، ٤١٦).

١١٠ - امرؤ القيس، من معلقته، **ديوانه** (ص١٩). المُغار: شديد الفتل، ويذبل: اسم جبل، المصام: مربط الفرس، والأمراس: جمع مرَس وهو الحبل.

١١١ - الأعشى، **ديوانه** ص ٣٥٧ تحقيق محمد حسين/بيروت - المكتب الشرقي دت. واسترادت الدابة: رعت.

١١٢ - **اللزوميات** (١/١٨٥).

١١٣ - الصفدي، **الكشف والتنبيه** ص ١٦٨.

الفصل الثاني
في الصور النجمية المزدوجة

تتفاوت درجة التناسب بين العناصر المكونة لصور هذا القسم، فمنها ما يتألف من عدد من الصور الجزئية التي تصوّر كل منها عبر نجمٍ ما ملمحاً مستقلاً من ملامح الصورة الكبرى، بحيث لا ترتبط صنعتها الفنية ولا قيمتها الدلالية بالصور النجمية الأخرى، فهي من النوع الذي يُعبّر عنه البيانيون عادة في باب التشبيه بـ (التشبيه المتعدد)، ومنها صور مُركّبة تتآلف مكوناتها وتتمازج عناصرها بما يحول دون تفكيكها أو التعامل مع كل منها بطريقة مستقلة عن العناصر الأخرى.

– من الصور المزدوجة المفكّكة صورة شعرية طويلة يسرد من خلالها أبو العلاء مثالب العالم العلوي التي ينخفض لأجلها قدره ومكانته فيقول:

للعالمِ العلويّ فيما خبّروا   شِيمٌ بها قدرُ الكواكبِ نازلُ
أترى الهلالَ وليسَ فيه مظنّةٌ   يصبو إلى جوزائه ويُغازلُ
وينالُهُ نصَبٌ يُطيلُ عناءه   فله كساري المُدلجين منازلُ
ويُقيمُ في الدارِ المنيفةِ ليلةً   وإذا ترحّلْ لم يُعِقْهُ الآزِلُ[١]
والبدرُ أنضته الغياهِبُ والسُّرى   فليَرضَ إنْ يُنضَ الفنيقُ البازِلُ[٢]
علَّ السِماكَ إذا استقلّ برمحه   بطلٌ يمارسُ قِرنه وينازل
أيقنتَ من قبلِ النُّهى أنّ السُّها   ساهٍ يُضاحكُ جاره ويُهازِلُ
والشمسُ غازلةٌ تمدُّ خيوطَها   فلذاك نسوانُ الأنام غوازلُ
أمّا النجومُ فإنهنّ ركائبٌ   تحتَ الزمانِ فهل لهنّ هوازلُ[٣]

والتفكّك بين الأبيات واضح ملحوظ ولاسيما في الأربعة الأخيرة، فلو عكستَ ترتيبَها لم يتغيّر المعنى، كما تلحظ أن ما ذكره من شِيم السماك والشمس لا يتفق مع الفكرة الأساسيةّ، فليس فيما حكاه عنهما ما يقتضي نزولَ قدْرِهما! ويبدو أن بنية



اللزومية استدعت صياغة الأبيات على هذا النحو الذي جاء فيه التوفيق في تحقيق التزام ما لا يلزم على حساب سلامة المعنى ووضوح الفكرة.

- ومن هذه الصور التي يحشد فيها أبو العلاء جملة من النجوم والكواكب قوله في مقام المديح:

إذا أدرك البينُ السِّماكَ ظعنتُمُ	وخوضوا المنايا والسماكُ مقيمُ
فآل الثريّا والفراقدِ أنتمُ	وإنْ شبّهتْكم بالعباد جُسومُ
فإنّ نجومَ الأرضِ ليس بغائبٍ	سناها وفي جوِّ السماء نجومُ
فليتَك للأفلاكِ نورٌ مُخلّدٌ	يزول بنا صَرفُ الرّدى وتدومُ
يراه بنو الدهرِ الأخيرِ بحاله	كما أبصرتْهُ جُرهمٌ وأَميمُ[٤]

فالفكرةُ هنا قائمة على الادّعاء بأن الممدوح وآله من العلويين هم بمنزلة النجوم لأهل الأرض، وتأكيداً لذلك فإنَّ الحديث عنهم يغدو كالحديث عن النجوم المعروفة طرداً للدعوى، فهو يزعم أنهم آل الثريّا والفراقد، وتقديم المسند على المسند إليه (أنتم) - في البيت الثاني - لغرض إفادة القصر والاختصاص، وهو قصر قلب فكأن من يعتقد أن النجوم هي آل الثريا والفراقد مخطئٌ في ظنّه، بل إنه ليجعلهم أولى بهذا الوصف من النجوم الحقيقية التي يغيب سَناها لأن سَنا نجوم الممدوحين مخلّد لا يغيب، وهو يدّعي أنهم لا يظعنون عن منازلهم الرفيعة في الدنيا حتى يظعن عنها السِّماك يوم القيامة، ولأن الحديث عن النجوم فقد خصّ السِّماك بالذكر دون معالم الدنيا الأرضيّة التي ستزول كلها في ذلك اليوم.

- ومن هذه الصورة التي يبدو بين عناصرها قدر من التلاحم قوله في صفة أسد:

كأنّ اللحظَ يصدرُ عن سُهيلٍ	وآخرَ مثلهُ ذاكي الضِّرامِ
وقد وطِئَ الحصى ببني بُدورٍ	صِغارٍ ما قَرُبن مِن التّمامِ
أمُحتذيَ الأهلّةِ غيرَ زهوٍ	سَلبتَ مِن الحُليِّ شُهورَ عامِ![٥]

ففي هذه الصورة تشبيهان مستمدّان من عالم الفلك، حيث يشبّه في أحدهما عينَي الأسد في الحمرة والاستدارة بنجم سُهيل، ويشبّه في الآخر مخالبَه في



الاعوجاج والانعطاف بالأهلّة، وقد كنى عن الأهلة في البيت الثاني ببني البدور، وهو ما صرّح به في البيت الأخير في قوله (أمحتذي الأهلة). وليس في التشبيهين من الجدّة والابتكار شيءٌ، وما أضافه أبو العلاء لا يعدو مجرّد الجمع بينهما في صورة واحدة، وقد سبقت الإشارة إلى سبق ابن وكيع إلى تشبيه الهلال بالمخلب(٦)، وأما تشبيه عين الأسد بالنجم فقد لحظ فيه قول أبي النجم في تشبيههما بالشِّعْرَيَيْن:

كالشِّعْرَيَيْن لاحتا بعد الشَّفَى(٧)

– ومن هذا الضرب قوله في نعت حلية سيفٍ:

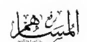
مُحلًّى البُرْدِ تحسبُه تَردّى ... نجومَ الليلِ وانتعلَ الهلالا(٨)

فغِمدُ السيف مُحلّى بحليةٍ فضيّةٍ ولذا جعله في الصورة يتردّى النجوم وينتعل الهلال، وقد لحظ في ذلك: التوافق الشكلي (وهو الاستدارة في النجوم والانعطاف في الهلال)، واللون البرّاق في كلٍّ من طرفي التشبيه.

– ومنه قوله في وصف حاله بعد فراق المحبوبة:

غادرتِني كبناتِ نَعشٍ ثابتاً ... وجعلتِ قلبي مِثلَ قلب العقربِ(٩)

فهو يدّعي أن صدمة الفراق قد أذهلته فانتصب في مكانه ثابتاً فِعْلَ الدَّهِش المفجوع، وشبه ثباته دون حركة أو نُقلة بثبات كواكب بنات نعش التي لا تغيب عن السماء لثباتها، ثم انتقل إلى وصف حال فؤاده الكليم فاختار – طلباً للمناسبة والتلاؤم – تشبيهَه بقلب العقرب في اتقاده ونحسه، وقلب العقرب من منازل القمر، وهو كوكبٌ أحمر ملتهِبٌ خفّاق(١٠)، ويُعلّل البطليوسي سرّ اختيار أبي العلاء له دون غيره من الكواكب – وهي العملية التي يعبّر عنها الأسلوبيون بانتقاء عناصر محور الاختيار أو الاستبدال – قائلاً: «وخصّه بالذكر لمعانٍ: منها طلبُ الصنعة والتجنيس، ومنها طلب القافية لأنّ القلوب من الكواكب أربعة: قلب العقرب، وقلب الأسد، وقلب الثور، وقلب الحوت، وليس منها واحدٌ يلائم القافية غير قلب العقرب. ومنها – وهو ألطف الاختصاصات مأخذاً – أنّ قلبَ العقرب يُوصف بالخفقان والتوقّد، وأنّه نحسٌ، وهذه كلّها من صفات قلب العاشق»(١١).



- ومن صوره المزدوجة التي تتضح فيها خبرته الفلكية قوله في وصف أرضٍ مطيرةٍ:

سقتْها الذراعُ الضَّيغَميّةُ جُهدَها ... فما أغفلتْ منها قِيدَ إصبعِ
بها ركزَ الرّمحَ السِّماكُ وقُطِّعتْ ... عُرى الفَرْغِ في مبكى الثُّريّا بهُمّعِ[١٢]

يريد أن الأرض قد مُطِرت بثلاثة أنواء: ذراع الأسد، والسماك، والفَرْغ[١٣]. وللدلالة على غزارة المطر فإنه يوظّف الكناية (بها ركز الرمحَ السّماك) لإثبات المعنى، والسِّماك كما مرّ من الأنواء الغزيرة المطر، وركْزُ الرمحِ دليل المكث والإقامة كقولهم (ألقى عصا التسيار)، واختيار الرمح دون العصا قصد إلى التورية حيث يُفهم منه المعنى الكنائي السابق كما يُلحظ فيه أيضاً لقب النجم نفسه، وهو (السماك الرامح). وفي البيت كناية أخرى وهي تقطيع عُرى الفَرْغ للدلالة على انسكاب المطر الدائم مراعياً في ذلك المعنيين اللغوي والفلكي لمصطلح الفَرْغ.

وحتى تكتمل هذه الصورة الريّانة الناضحة بالماء والمطر خَتم البيت بتصوير نجم الثريا بالفتاة الباكية التي تذرف دموعها على هذه البقعة التي اشتق لها اسم المكان (المبكى) ليكون علماً عليها، والثريا إنما تبكي بسحب هاطلة هامعة، والمراد بذلك نوؤها الذي يستمر لسبع ليال وهو خير نجوم الوسميّ؛ لأنّ مطرَه – كما يقول ابن قتيبة[١٤] – في زمنٍ تريدُ الأرض فيه الماء.

- ومن هذا النوع من الصور قوله في وصف سرعة جوادٍ أدهمَ مُحَجّلٍ:

صاغَ النّهارُ حُجولَه فكأنّما ... قَطَعتْ له الظَّلماءُ ثوبَ الأدهمِ
قَلِقَ السِّماكُ لركضِهِ ولَرُبّما ... نَفضَ الغُبارَ على جبينِ المِرزَمِ[١٥]

لما وصف التحجيل – وهو بياض في قوائم الفرس – بأنه منحة من ضوء النهار ناسب أن يصف دُهمته – الأدهم: الأسود – بأنها ثوبٌ منحه إيّاه ظلام الليل، وتحريًا لاستمرارية هذا التناسب اللوني المستمد من زمن الليل ادّعى في البيت التالي أنه قد أقلق السماك – النجم الشاهق – لفرط عَدْوِه وسرعة جريه، وادّعى أيضاً أن



الغبارَ المتصاعد من وَقْع قوائمه على الأرض قد تناثر على جبين نجم المِرزَم، وهو كوكب مُصاحبٌ للشِّعْرى.

- ويجمع أبو العلاء بين تشبيهين من العالم العلوي ليُصوِّر لنا قِصَر أعمار أعداء المدوح لسرعة بطشه بهم، فيصف حالهم بقوله:

نالوا يسيرَ حياةٍ كابن ليلته مِن الأهِلّةِ أو كالنَّجمِ في الغَلَسِ[١٦]

فالهلال إذا كان ابن ليلة، والنجم إذا كان طلوعُه في الغلَس، لا يطول مكثهما فسرعان ما يغيبان عن الأنظار، وهكذا حال أعداء المدوح.

- ويُصوِّر أبو العلاء الليل الطويل في مواضع عدّة من شعره، وقد اعتمد في بعض من هذه الصور على وصف عدد من النجوم ليتوسّل بذلك إلى التدليل على طوله، فمن ذلك قوله:

وليلةٍ سِرْتُ فيها وابنُ مُزنتِها كميّتٍ عادَ حيّاً بعدَ ما قُبِضا

كأنّما هيَ إذْ لاحتْ كواكِبُها خَوْدٌ مِن الزّنجِ تُجلَى وُشِّحتْ خَضَضا

كأنّما النّسرُ قد قُصَّتْ قوادِمُه فالضعفُ يكسِرُ منه كلّما نَهضا

والبدرُ يحثُّ نحوَ الغربِ أينُقَهُ فكلّما خافَ مِن شمسِ الضُّحى ركضا

ومَنهلٌ تَرِدُ الجَوزاءُ غَمرتَهُ إذا السِّماكانِ شَطْرَ المغربِ اعترضا

ورِدْتُه ونجومُ الليلِ وانيةٌ تشكو إلى الفجرِ أن لم تطعمِ الغَمضا[١٧]

نلمس في هذه الأبيات افتقارها إلى الانسجام العاطفي بين صورها، فإنّك تجد فيها ما يوحي بتململه من الليل وبرَمه من طوله، وتجد فيها أيضاً ما يُناقض هذا الشعور كما في البيت الثاني حيث يُشبّه الليل بكواكبه المتألّقة بعروس زنجيّةٍ حُلّيتْ بخَرَزٍ أبيض، ووجه الشبه في الاثنين تلألؤ أجرام بيضاء كُرويّة الشكل وسط محيط أسود، وتصوير الليل على هذا النحو يُضفي – بلا ريب – على الموقف روحاً احتفالية فرحة، وكان الأولى به لو رامَ الحفاظَ على استمرارية الانسجام الشعوري مع بقية الأبيات أن يصوّر الليل مثلاً بزنجي أشيب كما صنع هو في قوله في وصف ليل:



حليفُ سُرىً لم تَصْحُ منه الشمائلُ	ويُؤنسني في قلب كلِّ مَخوفةٍ
وأُوثِقَ حتّى نهضُهُ مُتثاقِلُ[١٨]	مِن الزَّنجِ كهلٌ شابَ مَفرِقُ رأسِه

كما نلمس خللاً معنوياً في البيت الرابع حين يصوّر البدر بسائق الإبل – التي ترمز للنجوم – حين يستحثّها على الإسراع بالسير خشية أن يُدركه الفجر، وهذا يتناقض مع وصفه الليل بالطُّول الذي يقتضي أن تكون حركة أقماره ونجومه بطيئة متثاقلة. وفي البيت الخامس تراه يتحدّث عن الجوزاء وانعكاس صورتها على ماء المنهل الذي ورده، وليس لذلك علاقة بطول الليل ولا قِصره كما ترى.

– أما بخصوص تصويره لطول الليل فنجده في البيت الأول يشبّه القمر بميّت عاد إلى الحياة من جديد للتعبير عن تطاول الليل، فالقمر كلما دنا وقت مغيبه عاد جذعاً شابّاً وازداد نوره وهجاً وألقاً، والمراد بذلك: قطْعُ أمل النفس بتصرّم الليل وإدباره، فحتى لو غاب القمر – وهو ما يُؤذن عادة وعقلاً بقرب الفجر – فإنه سيبزغ من جديد وفقاً لمتوالية الموت والبعث المستمرة. ويظهر أثر الصنعة البديعية (التورية) في الصورة الثانية حين يتحدّث عن النّسر، وفي المجموعات النجمية نسران: واقع وطائر، والمراد هنا الطائر الذي يتألّف من كوكبٍ منير بين كوكبين عن جانبيه بمنزلة جناحيه[١٩]، فيشير إلى بطء حركته – ويتحوّل الحديث هنا عن النسر باعتباره طائراً لا نجماً – لكون قَوادمه (وهي ريش مقدمة الجناح) قد قُصّت، فهو يُعاني ما يعاني عند إرادته النهوض. وقد كرّر هذا المعنى في قوله:

بقلبيَ نجماً بطيء الغروبِ	لَعمري لقد وكّل الظاعنون
أمَا لشباب الدُّجى من مشيبِ	أقول وقد طال ليلي عليَّ
فلم تستطِعْ نهضةً للمَغيبِ[٢٠]	أقُصّتْ نسورُ نجومِ السماءِ

وفي البيت الأخير يُعبّر عن طول الليل بشكوى نجومه إلى الفجر من أنها لم تذق غَمضاً لطول سهرها، وهي استعارة مألوفة متكررة لا مزية لها.

– وفي أبيات أخرى يظهر دور الموقف العاطفي المتململ من طول الليل في تشكيل ملامح الصورة وانتقاء أصباغها حيث يقول:



وليلٍ كذئبِ القَفْرِ مكراً وحيلةً أطلَّ على سَفْرٍ بحُلّةِ أدرَعِ
كتبنا وأعربنا بحِبرٍ من الدُّجى سُطورَ السُّرى في ظهرِ بَيداءَ بلقعِ
يُلامُ سُهيلٌ تحتَه من سآمةٍ ويُنعَتُ فيه الزِّبرِقانُ بأسلعِ
ويُستبطأُ المرّيخُ وهو كأنّه إلى الغَورِ نارُ القابِسِ المُتسرِّعِ
فيا مَن لناجٍ أنْ يُبشِّرَ سمعَه بإسفارِ داجٍ ربُّ تاجٍ مُرصَّعِ
وتبتسِمُ الأشراطُ فجراً كأنّها ثلاثُ حماماتٍ سَدِكنَ بمَوقِعِ
وتَعرِضُ ذاتُ العرشِ باسطةً لها إلى الغرب في تغويرها يدَ أقطعِ(٢١)

فهو يصف الليل لكثرة أهواله ومخاوفه بالذئب، ثمّ يعبّر عن استثقال القوم لطوله بلومهم لسهيلٍ الذي يرونه قد تأخرّ عن الغروب، وينعتون القمر بالأبرص لبغضهم له، وهو ما يذكّرنا بأبيات ابن المعتز المشهورة في ذمّه التي يختمها بقوله:

لم يظفرِ التشبيه منكَ بطائلٍ مُتسلِّخٌ بهَقَاً كلونِ الأبرصِ(٢٢)

ونظراً لفرط الضجر الذي يتملّكهم إزاء الليل يستبطئون المريخ على الرغم من سرعة غروبه، وقد شبّهه في هبوطه غرباً بـ (نار القابس المتسرّع)، ووجه الشبه بين الاثنين يتسم بالغموض والإبهام؛ إذ لا يظهر معنى لتخصيص النار بنار القابس بالذات ولا حكمة لوصفه بالمتسرّع، وتكلّف الخوارزمي شارح السقط(٢٣) في توجيه ذلك مدّعياً أنّه من شأن القابس أن يخفض رأس شُعلته! ويبدو أن القافية العينية كان لها دور كبير في مجيء التشبيه على هذا النحو. وحينما تظهر علامات قرب انبلاج الفجر يشيع جو من البهجة والفرح فيصف أبو العلاء كواكب الأشراط بأنها تبتسم، ويُشبهها مسايرة لهذا الجو بثلاث حمامات بيضاء، غير أنه حين يصف تأهّب الثريا للغروب تضطره القافية مرة أخرى للخروج عن متطلبات المنظر المفرح حين يؤثر ذكر الكف المقطوعة دون قرينتها الخضيبة مع أن الثريا عند غروبها تبسط الكفين معاً، ولا ريب أنّ ذِكر الخضيبة حينئذٍ أليق بالسياق العاطفي للأبيات.

- ويبدو دور العاطفة جلياً في رسم صورة بهيجة نادرة لليل في قوله:

ربَّ ليلٍ كأنّه الصُّبحُ في الحُسْـ ـنِ وإن كان أسودَ الطيلسانِ



قد ركضنا فيه إلى اللهوِ لمّا وقفَ النّجمُ وقفةَ الحَيرانِ
فكأني ما قلتُ والبدرُ طفلٌ وشبابُ الظلماءِ في العُنفوانِ
ليلتي هذه عروسٌ مِن الزّنْـ ـجِ عليها قلائدٌ مِن جُمانِ
وكأنّ الهلال يَهوى الثُّريّا فهما للوداعِ مُعتنِقانِ(٢٤)

والدلالات المترتبة على توظيف النجوم هنا دلالات ذات طابع زمني: فقد كنى في البيت الثاني عن طول ساعات الليل بوقوف النجم وقفة الحيران، ثمّ أشار إلى أن تلك الليلة كانت في مفتتح الشهر حين كنى عن ذلك بالجملة الحالية (والبدر طفلٌ)، ثمّ أشار إلى أنها كانت فريدة نادرة الحدوث حين حدد بدقة زمنية توقيتها في البيت الأخير (وكأنّ الهلال يهوى الثريا)، فالقمر إنما يقترن بالثريا في ليلة يتيمة في السنة ثم يفترقان(٢٥)، وقد ألمح إلى ذلك حين جعل عناق التلاقي عناقاً للوداع أيضاً، وبه يدرك أيضاً أن (ربّ) في صدر البيت الأول كانت لإفادة التقليل.

- ومن الصور المركّبة قوله في تهنئة ممدوح بزفاف عروس، وكان في داره جماعةٌ من الغلمان، فنقلهم منها قبل دخولها إليها:

لم يكنْ قصرُك المنيفُ ليستنْـ ـزلَ إلّا أعلى بناتِ القصورِ
رحلتْ مِن فَنائه شُهُبُ الغلْـ ـمانِ خوفاً مِن ضوءِ فجرٍ منيرِ
كان كالأفقِ حينَ همّتْ به الشَّـ (م) ـسُ تنادتْ نجومُه بالمسيرِ
يا لها مِن نعمةٍ وليس ببِدعٍ أن تحوزَ الشموسُ رِقَّ البدورِ(٢٦)

فهو يُصوّر التلازم الحاصل بين إقبال العروس ورحيل الغلمان بنظيره الحاصل بين طلوع الشمس واختفاء سائر النجوم، ومن السهل تعرف أن أصل الفكرة مأخوذ من بيت النابغة الشهير في مدح النعمان:

فإنّك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبدُ منهنّ كوكبُ(٢٧)

- وقال أيضاً مهنّئاً بزفاف:

زُفّتْ إلى دارِكَ شمسُ الضُّحى وحولَها مِن شَمَعٍ أنجمُ
مثلُ شِياتٍ في قميصِ الدُّجى زِينَ بها الفرسُ الأدهمُ



كأنّما الشُّهْبُ نِثارٌ على الـ ـخضراءِ منه الفذُّ والتَّوأمُ
عُمّتْ به الآفاقُ حتى سما منها إلى الجوِّ به سُلّمُ(٢٨)

وفي هذه الأبيات يُصوّر أبو العلاء مشهد حفلة الزفاف ولاسيما عند دخول العروس دار زوجها حيث تحفّ بها الجواري وقد حملن الشموع المتقدة وقد نُثرت فوق رأسها الدراهم كما تجري به العادة في مثل تلك المناسبة، وهو يستعين على رسم ملامح تلك اللوحة بمشاهد من عالم النجوم: فيشبّه العروس وقد أحاطت بها الشموع بشمس الضحى التي تحفّ بها النجوم، وقد أخذ عليه الخوارزمي(٢٩) جمعه بين الشمس والنجوم لأنها لا تجتمع بها ولاسيّما شمس الضّحى! ثم يؤكّد جمالية هذا المنظر المتألف من نُقَطٍ بيضاء متلألئة وسط محيط أسود حين يلفت نظرنا إلى أن الشِّيات – جمع شِية وهي لمعة تخالف لون الفرس – البيضاء تُعدّ زينة للفرس الأسود.

وحرصاً من أبي العلاء على تحقيق التلاؤم بين العناصر المكونة لصورة المشهد فإنه يبحث عن مشبه به مناسب للنثار فلا يجد أبلغ ولا أنسب من تشبيهه بالشُّهب سالكاً في ذلك طريقة التشبيه المقلوب إمعاناً منه في المبالغة وإغراقاً في دعوى التماثل التام التي لا ترى مانعاً من أن يحلّ كل من ركني التشبيه محلّ الآخر (كأنّما الشُّهب نثارٌ)، وهو يُعلِّل بشيء من منطقية مبالغته في دعوى التطابق بين الاثنين حينما يدّعي أنّ النثار قد ملأ الأرض وضاقت به الآفاق، فلم يجد له مساغاً إلّا بالصعود إلى السماء ليحلّ منها محلّ الكواكب. ونلحظ حرصه على الروح الفرحة التي تتملك هذا المشهد حينما يُعبّر عن السماء بلقب (الخضراء) لما في ذلك من دلالات التفاؤل والسرور التي لن تجدها عند التعبير عنها بلقب (الجرباء) مثلاً.

– ومن الصور المركّبة قوله في مدح بعض الشعراء:

وشعرُكَ لو مدحتَ بهِ الثُّريّا لصار لها على الشمسِ افتخارُ
كأنّ بيوتَه الشُّهْبُ السواري وكلُّ قصيدةٍ فلكٌ مُدارُ(٣٠)

والجمال في هذه الصورة يتمثل في التلاحم والتمازج بين مكونات ركني

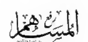


التشبيه، فعلى مستوى المشبّه نجد القصائد التي تتألف من الأبيات، وعلى مستوى المشبه به نجد الأفلاك التي تضم الكواكب، فالقصائد تقابل الأفلاك والأبيات تقابل الكواكب في تناسق دقيق، وليس هو من قبيل التشبيه المتعدد الذي يجمع عدداً من التشبيهات المتباينة التي لا يذهب التفريق بينها بجمالها لعدم ارتباط كل منها بالآخر؛ إذ الأمر على خلاف ذلك في هذا التشبيه الذي تجد بين مكوناته اتحاداً وائتلافاً فريدين. ووجه الشبه يدل على اشتهار هذه الأبيات والقصائد وشيوع خبرها، فهي كالأفلاك التي تعم بدوران كواكبها السائرة جهات الأرض جميعاً.

– ومن التشبيهات المركّبة قوله:

تلك النوابحُ خالتْ بدرَ ليلتها قُرصاً وظنّتْ ثُريّا الليلِ عُنقودا[٣١]

وتشبيه البدر بقرص خبزٍ والثريّا بعنقود عنبٍ من الأمور المطروقة قبل أبي العلاء بكثرة، لكنّ الجديد الذي يُضيفه تصويره هنا هو جمعه بين الاثنين في سياق واحد متآلف، ومن ثمّ تعليله نباحَ الكلاب ليلاً لتوهّمها البدرَ والثريا طعاماً يُؤكل، وهو ما يحملها على ذلك النباح المتواصل.



هوامش الفصل الثاني

١ - اسم فاعل من أزله يأزِله إذا حبسه.

٢ - الفنيق من الإبل: الفحل المُكرم، والبازل الذي دخل في السنة التاسعة. وأنضاه السير إذا أنحله وأهزله.

٣ - اللزوميات (٢/١٩١ - ١٩٢).

٤ - **السقط** ص ١١٦.

٥ - **المصدر السابق** ص ٤١.

٦ - انظر ص ٢٧ من هذا البحث.

٧ - انظر: ابن قتيبة، **الأنواء** ص ٤٧، و**شروح السقط** (٤/١٤٣٨)، وابن منظور، محمد بن مكرم: لسان **العرب**/بيروت/دار صادر/دت. (١٤/٤٣٧). والشفى: دنوّ الشمس للمغيب.

٨ - **السقط** ص ٥٣. ونعل السيف الحديدة أو الفضة في أسفل الجفن.

٩ - **المصدر السابق** ص ٢٢٦.

١٠ - انظر: ابن قتيبة، **الأنواء** ص ٧٠، والقلقشندي، **صبح الأعشى** (٢/١٦٩).

١١ - **شرح السقط** (٣/١١٢٩).

١٢ - **السقط** ص ١٦٦.

١٣ - الأسد من منازل القمر وله ذراعان: مقبوضة ومبسوطة، والقمر ينزل بالمقبوضة وهما كوكبان بينهما قيد سوط. والفرغ لغة: مصبّ الماء بين العرقوتين، وبرج الدلو أربعة كواكب واسعة مربّعة بين كلّ كوكبين في المرأى قيد رمح، فاثنان منها فرغ الدلو المقدّم، والباقيان الفرغ المؤخّر، وهما من منازل القمر. انظر: ابن قتيبة، **الأنواء** ص٤٨، ٨٢. والقلقشندي، **صبح الأعشى** (٢/١٦٦، ١٧١)، و**القاموس** مادة (ف ر غ).



١٤ – ابن قتيبة، **الأنواء** ص ٣١.

١٥ – **السقط** ص ٨٧.

١٦ – **المصدر السابق** ص ١٢٢. والغلس: ظلمة آخر الليل.

١٧ – **المصدر السابق** ص ٢٠٨ – ٢٠٩. وابن مزنتها: الهلال. والخضض: خرز صغار بيض.

١٨ – **المصدر السابق** ص ١٩٦. وقوله (لم تصح منه الشمائل) معناه: أنه يتغير ولا يبقى على حال، ويُروى: لم تَصفُ.

١٩ – انظر: ابن قتيبة، **الأنواء** ص ١٥١، والقلقشندي، **صبح الأعشى** (٢/١٧٣).

٢٠ – **السقط** ص ٢٠٦.

٢١ – **المصدر السابق** من ١٦٦ – ١٦٧. السفر: جماعة المسافرين. والأدرع وصف للذئب إذا كان أبيض المقدم وسائره أسود. والأسلع: الأبرص. والناجي: الجمل السريع. ورب التاج المرصع هنا: الديك. والأشراط: ثلاثة كواكب، واحدها: شَرَط. وسدكن: لزقن بموضعٍ. والغور والتغوير: الغروب. وذات العرش: الثريا.

٢٢ – ابن المعتز، **ديوانه** ص ٢٣٩.

٢٣ – **شروح السقط** (٤/١٥٢٣).

٢٤ – **السقط** ص ٩٤.

٢٥ – انظر: ابن قتيبة، **الأنواء** ص ٢٦، و**شروح السقط** (١/٤٣٠ – ٤٣١).

٢٦ – **السقط** ص ٧١ – ٧٢.

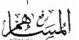
٢٧ – النابغة، **ديوانه**، جمع ابن عاشور، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦ ص٥٦.

٢٨ – **السقط** ص ١٣٧.

٢٩ – **شروح السقط** (٢/٨٤٧).

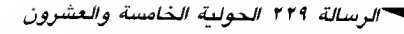
٣٠ – **السقط** ص ١٣٣.

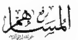
٣١ – **اللزوميات** (١/٢٣٩).



الباب الثاني
التوظيف الفني للنجوم والكواكب في الخطاب الإقناعي والصبغ البديعي

- الفصل الأول: التوظيف الفني للنجوم والكواكب في الخطاب الإقناعي
- الفصل الثاني: التوظيف الفني للنجوم والكواكب في الصبغ البديعي





الفصل الأول
التوظيف الفني للنجوم والكواكب
في الخطاب الإقناعي

تمثّل النجوم والكواكب في شعر أبي العلاء أحد المصادر الرئيسة التي يستمد منها فكره وفلسفته ونظرته إلى الحياة، فهو يتخيّر منها شواهد ودلائل يدعّم بها ما يعرض له من رُؤى ومواقف؛ فهي بأحوالها المختلفة المتلونة وتقلب مطالعها ومنازلها تمثل عنده انعكاساً صادقاً لما يدور على العالم الأرضي من وقائع وأحداث مناظرة ومقاربة، وتبدو العلاقة بين العالمين العلوي والسفلي في شعره علاقة وثيقة الأسباب متشابكة العُرى، وكثيراً ما كان يلجأ إلى عقد موازنات مفصلة بين سياق حوادث العالَمين ليؤكّد عبرها صحة تلك النظرة، ويكشف عما بينهما من ملامح الامتزاج والتداخل.

ولو تفحّصنا استقرائياً موقع (النجوم والكواكب) من آليّات الخطاب الإقناعي في شعر أبي العلاء لوجدنا أنها تتمحور حول ثلاثة أصول فكرية رئيسة تتولّد عنها صور شتى من ذرائع الإقناع والحجاج العقلي، وسنذكر هذه الأصول ونردف كلاً منها بما تيسر الوقوف عليه من تجليات وتمثلات:

أولاً – النجوم رمز المنعة والقوة والسلطان:

لا تخرج الصورة التي يرسمها أبو العلاء للنجوم كثيراً عن هذا الإطار إلا في حالات محدودة معدودة، فهو لا يُخفي افتتانها بعلوّها وتوهّجها وديمومتها التي تُعدّ الملامح البارزة التي أكسبَتْها تلك المنعة والرفعة في نظره، ولذا فهي تتوارد في شعره على معنى التعبير عن المطالب العزيزة المنال التي لا تُسلم زمامها إلا لأفراد قلائل تمكّنوا من ترويضها وسوسها، وهي كذلك ترمز لصفات الكمال النادرة التي يستحق المتحلّي بها المديح والثناء. وإذا كانت النجوم – في نظره – على هذا القدر الكبير من



العزّة والقوة فإنها إن عجزت – والحالُ كذلك – عن ردّ مكروه من الكوائن ودرء شر من الشرور فإن غيرها من المخلوقات سيكون بلا ريب أعجزَ وأضعف.

وبناءً على هذا الأصل الذي أصّله وقرّره فإن أبا العلاء سيُجري أفراسه في مضمارَين رحبين لا تخطئهما عين الناظر إلى شعره، يتجلّى فيهما اعتماده الكبير على أحوال النجوم لتكون وسيلة إقناع رئيسة؛ أحدهما: مضمار المديح والفخر، والآخر: مضمار تصوير المطالب المستحيلة الممتنعة الوقوع.

– **أما في المديح** فإنّ أبا العلاء حتى يتمكّن من إقناع المتلقي بأهلية الممدوح لما دبجه له من تمجيد وثناء يعمد إلى تصويره في مُسوح الرجل الخارق للعادة المتفوق على بني جنسه: إنه ذلك الفريد الذي تسير أقوى المخلوقات وأعظمها شأناً في ركابه وتأتمر بأمره لأنها طَوْعُ بنانه، ولذا فهو جدير بما قيل فيه من مديح وإطراء:

– فتراه يقول في مدح علويٍّ:

مـن قـال إنّ الـنّـيّـراتِ عـوامِـلٌ ... فـبـضِـدِّ ذلـك فـي عُـلاكَ يـقـولُ

يـعـمـلـنَ فـيـمـا دونـهـنّ بـزعـمِـهِ ... ولـهـنّ دونَـكَ مـطـلـعٌ وأُفـولُ[١]

لقد جعل الممدوح في منزلة تسمو فوق منازل النجوم وتعلوها، وبسبب هذا العلو الشاسع فإن النجوم عاجزة عن التأثير فيه عند من يعتقد فيها ذلك، وحتى يكتسب هذا النفي قيمةً ومعنىً فإنه يُسنِده إلى من يقول بتأثيرها ويعتقد تصرّفها في شؤون الخليقة، فإنّ الشهادة إذا جاءت من مثله كانت أبلغ وأوقع لأن من عُرف عنه التسليم لها بذلك يصعب عليه أن يُخرج أحداً من سلطان تأثيرها إلا إن كان ذا صفات خارقة حقّاً. ويشير التبريزي[٢] إلى سرّ تفوق بيت أبي العلاء على نظيره بيت المتنبي:

يقولون تأثيرُ الكواكبِ في الورى ... فما بالهُ تأثيرُه في الكواكبِ؟![٣]

فيقول: «لأنه جعل الممدوحَ فوقَ النجوم، وإذا كان فوقها فليس لتأثير النجوم إليه سبيل». أي: أنّ أبا العلاء أيّد دعواه بدليل فلكي يتناسب معها، وهو ما لا تجده في بيت المتنبي، وإن كان له فضل السابقة.



- ويتجاوز أبو العلاء هذه المبالغة إلى مبالغة أخرى أعظم منها، فهو يقول في مدح أحدهم:

ابقَ في نعمةٍ بقاءَ الدهورِ ... نافذَ الأمرِ في جميعِ الأمورِ
خاضعاتٍ لك الكواكبُ تختـ ... ـصُّ مواليكَ بالمحلِّ الأثيرِ
لا يُؤثِّرْنَ في الوليِّ ولا الحا ... سدِ حتى تُشيرَ بالتأثيرِ(٤)

فالكواكب – بزعمه – خاضعة للممدوح مُؤتمرة بأمره في أوليائه وأعدائه، فلا تجلب إليه سعداً ولا نحساً حتى يأذن لها بذلك!. ولا يكتفي بهذا الحدّ من المبالغة الممقوتة بل إنه ليجعلها عبيداً للممدوح، فمتى حاولت التمرّدَ على مشيئته كان مصيرها الهلاك، وذلك في قوله:

إذا البِرجِيسُ والمرّيخُ راما ... سِوى ما رُمتَ خانهما الكيانُ
هما العبدان إن بغَياكَ غَدراً ... فما فعلا إباقٌ أو دِفانُ(٥)

ويدفعه الغلوُّ في المدح إلى تفضيل الممدوح على النجوم والكواكب متجاوزاً بذلك سنّة الشعراء الجارية بتشبيه الممدوحين بها لما استقرّ في الأذهان وتواضعت عليه الأفهام من وضوح صفة العلو والارتفاع فيها، فهو يقول في مدح أحد العلويين متمثلاً مقولة إحدى الطوائف الشيعيّة(٦):

أحد الخمسة الذين همُ الأغـ ... ـراضُ في كلِّ منطقٍ والمعاني
والشخوصِ التي خُلقن ضياءً ... قبل خلقِ المرّيخ والميزانِ
قبلَ أن تُخلقَ السماواتُ أو تُؤ ... مَرَ أفلاكُهُنَّ بالدَّورانِ(٧)

- وتصويراً منه لقوة الممدوح المفرطة على سبيل المبالغة والإغراق فإنه يدّعي أنه إذا حارب ظفر بالغنائم العظيمة التي لا تمثل النجوم إلا بعضاً منها! حيث يقول:

وكيف لا يطمعُ في مَغنمٍ ... مَن الثُّريّا بعضُ ما يَغنَمُ
وكيف يخفى نَفَلٌ بعضُه الـ ... ـمرّيخُ والجوزاءُ والمِرزَمُ(٨)

- وحين يمدح بالكرم فإنه يجعل نار قِرى الممدوحة ساطعة متلهبة لا تُطفأ كنايةً عن شهرة موقدها بذلك، وللتدليل على سطوعها وتأجّجها فإن زُحل – رمز النحس والشر – يعجز عن إطفائها مع أن زُحل معروف عند المنجمين بأنه مُديل الدول ومُقلقل العروش! حيث يقول:

سَطَعَتْ فما يستطيعُ إطفاءً لها زُحَلٌ ونورُ الحقِّ ليس بطافِ[9]

وذهب شرّاح السِقط[10] إلى أنه خصّ زُحل بذلك لأنه بارد يابس فلا يقدر على إطفائها وإن جاء بالبرد والقرّ، وهذا التفسير وإن كان محتملاً فإن ما ذكرته موافق لموقف أبي العلاء الشعري المعروف من هذا الكوكب، فإنه يرمز عنده عادة للشرّ كما في قوله:

ما دام في الفَلَكِ المرّيخُ أو زُحلٌ فلا يزال عُبابُ الشرّ يلتطِمُ[11]

وقوله:

وما يجمع الأشتاتَ إلّا مُهذّبٌ من القوم يحمي بارداً فوق باردِ
إذا نال ما يرجوه من زُحل الذي بدا شرُّه لم يبغِهِ مِن عُطاردِ[12]

وقوله:

لقد ترفّع فوقَ المُشتري زُحَلٌ فأصبحَ الشرُّ فينا ظاهرَ الغَلَبِ[13]

وقوله:

ولن يزالوا بشرٍّ في زمانِهم ما دامَ فوقَهم المرّيخُ أو زُحلُ[14]

- وأمّا توظيفُها في مقام فخره بنفسه فنراه حين يجعل قدْرَه فوق الثريا سُموّاً وعُلوّاً في قوله:

ليَ الشرفُ الذي يطأ الثُّريّا مع الفضل الذي بهرَ العبادا[15]

- بل إنه ليدّعي أن السُّها – وهو نجم خفيّ – لو ملأ عينيه منه لتفوّق على زُحَل الذي يبلغ جِرمُه أضعافَ جِرم السُّها، وذلك في قوله:

ولو ملأ السُّها عينَيه منّي أبرّ على مدى زُحلٍ وزادا[16]



- **وأما في مضمار تصوير الغايات العزيزة والمطالب المستحيلة** فإن أبا العلاء يعمد إلى تصويرها بالكواكب والنجوم؛ لأنها تمثل في نظره أعزَّ المخلوقات منعةً وأبعدها عن يد المتناول التي لا يمكن أن تطالها، فهو حين يتحدّث عن علوّ همته واعتداده بقدْرِه يقرر أنه بتلك الهمّة وذلك القدر لا يقنع بما دون النجوم غاية ومطمحاً حيث يقول:

أفوقَ البدرِ يُوضَعُ لي مِهادُ ... أمِ الجوزاءُ تحت يدي وِسادُ؟

قنعتُ فخِلتُ أنّ النجمَ دوني ... وسِيّانِ التقنّعُ والجهادُ[١٧]

فهو بالاستفهام التقريري يثبت أن منزلته عالية مرتفعة، ويحتمل الاستفهام معنى الإنكار أي: أن همته وآماله لا تقنع بتلك المنزلة الجليلة على الرغم من علوّها وارتفاعها، ثم يشير إلى أنه إن تواضع وقنع فإنه يكفيه إذن أن يكون النجمُ دونَه. وقد ذكر ابتداءً البدر لقربه النسبيّ، ثم ترقّع إلى منزلة الجوزاء التي يُضرب بها المثل في الرفعة والعلو لكونها في الفلك الثامن[١٨].

- وحينما يقرّر مفهوم الرضا بالرزق المقسوم المقدور وأنه مهما بعُد عن صاحبه فإنه لابد نائله تجده يستعين بالنجوم للدلالة على بيان مقدار هذا البعد الموحي بالامتناع فيقول:

والرزقُ يأتي ولم تُبسَط إليه يدي ... سيّانِ في ذلك إدنائي وإقصائي

لو أنّه في الثريّا والسِّماكِ أوِ الشِّعْـ ... ـرى العَبورِ أوِ الشِّعرى الغُميصاءِ[١٩]

- وتراه يصور امتناعَ الممدوح على أعدائه وعجزَهم عن بلوغ الإضرار به بجعله في منزلة شاسعة البعد تتجاوز في العلو الجوزاء التي تُعدّ - كما مرّ - من أعظم النجوم ارتفاعاً، وذلك في قوله:

يرومُكَ والجوزاءُ دونَ مرامِه ... عدوٌّ يعيبُ البدرَ عندَ تمامِهِ[٢٠]

- ومبالغةً منه في إثبات ملازمة طيف المحبوبة له وأنها - لشدة تعلّقه بها - لا يفارق طيفُها ناظريه في أي زمان ومكان حصل فيهما، فإنه يدّعي أنه لو حطّ رحله فوق النجوم لوجد طيفها قد سبقه هناك ليَمْثُل أمامه، وذلك في قوله:

ما سِرتُ إلّا وطيفٌ منكِ يصحبُني ... سُرىً أمامي وتأويباً على أثري

لو حطَّ رحليَ فوقَ النجمِ رافِعُهُ ... ألفيتُ ثَمّ خيالاً منكِ مُنتظري[٢١]

- ولإثبات أن للقدَر سطوته التي لا يقدِر على ردّها أحد مهما كانت قوته وسلطانه فإن أبا العلاء يقرر أن لا سبيل لنجاة المرء من ذلك حتى لو لاذ بالنجوم التي تمثل قمة العلو والشموخ، فهو يقول:

لو انّ سوادَ كيوان خِضابٌ ... بكفّكَ والسُّها في الأذن حَبُّ

لما نجّاك مِن غِيَرِ الليالي ... سناءٌ فارغٌ وغِنىً مُربُّ[٢٢]

ويقول:

سيدخلُ بيتَ الظالمِ الحتفُ هاجِماً ... ولو أنّه عندَ السِّماك مُطنِّبُ[٢٣]

ويقول عن يوم المنيّة:

لا أحملُ الهمَّ لي يومٌ يُغيِّبُني ... ولو حللْتُ معَ الجوزاءِ والحمَلِ[٢٤]

ويقول أيضاً:

فويحَ المَنايا لم يُبقِّينَ غايةً ... طلعْنَ الثنايا واطّلعنَ على النجمِ[٢٥]

- بل لو كان هو نفسه القمر أو الشمس لما تخلّف عن نهايته المحتومة حيث يقول:

لو كنتُ كالبدر المنيـ ... ـر أو الغزالةِ وهي أكبرْ

لعلمتُ أنّي للثرى ... أُدعى وأنّي فيه أُقبَرْ[٢٦]

- ولا يسلم من وقائع القدَر الملك الجبّار حتى لو بلغ من جبروته أن صيّر النجوم سلاحاً وعُدّةً له: فاتخذ المرّيخ سهماً، وجعل المشتري غرضاً لرميه، حيث يقول:

لا يمنعُ الملِكَ الجبّار من قَدَرٍ ... يُغيّرُ الحالَ ما أجرى وما جاسا

ولو غدا الكوكبُ المِرّيخ في يده ... كالسهمِ واتّخذ البِرجيسَ بُرجاسا[٢٧]

ومن ذلك قوله:

رُبَّ رَبعٍ كأنّه النجمُ في العزّ (م) أتاهُ رَيبُ الزمان فجيسا

والفتى غيرُ آمِنٍ مِن أذى الدّ (م) هر ولو كان شخصُهُ البِرجيسا[٢٨]



ثانياً – النجوم أحد مصادر فلسفة أبي العلاء في الحياة:

يتّفق الدارسون لرؤية أبي العلاء للعالم على أنه كان ينظر إلى الحياة نظرةً ملؤها التشاؤم واليأس، فهو يُصرّح بتفضيل الموت على الحياة في قوله:

ضِجعةُ الموتِ رقدةٌ يَستريحُ الـ ـجسمُ فيها والعيش مثلُ السُّهادِ(٢٩)

ويراها دار شرور لا سرور فيها حيث يقول:

دنياك دارُ شرورٍ لا سرورَ بها وليس يدري أخوها كيف يحترس(٣٠)

والنجوم تمثّل إحدى المواد التي استمدّ منها أبو العلاء نظرته المتشائمة إلى الحياة وإن لم تكن المصدر الأبرز، فمنظر النجوم اللامعة المتلألئة في ظلمة السماء على ما فيه من البهجة والجمال ليس في نظره إلا شيباً مُؤذناً بفناء الدهر وانصرام الدنيا كما تراه في قوله:

رآها سَليلُ الطين والشَّيبُ شاملٌ لها بالثُّريّا والسِّماكَين والوَزنِ(٣١)

– وهي دليل على تقادم عمر الدهر كما في قوله:

تَقادمَ عُمرُ الدهر حتى كأنّما نجومُ الليالي شيبُ هذي الغياهبِ(٣٢)

ويُعيد المعنى ذاته في قوله:

ما أقبحَ المَينَ قلتم لم يشِبْ أحدٌ حتّى أتى الشَّيبُ إبراهيمَ عن أَمَمِ
كذبْتُم ونجومُ الليل شاهدةٌ أنّ المشيبَ قديماً حلَّ في اللِّمَمِ(٣٣)

فهو يُكذّب دعوى القائلين أن أول من شاب هو إبراهيم الخليل – عليه السلام –(٣٤) مستدلاً على صحة مذهبه بالنجوم التي هي شيبٌ في مفرق الدنيا مذ كانت.

– وأما الشهب المتناثرة في جوّ السماء فهي في نظره شبكة الدهر التي يطّرحها على أهل الدنيا ليصطاد بحوادثه منهم من يصطاد، حيث يقول:

هذهِ الشُّهْبُ خِلْتُها شَبَكَ الدّهـ ـرِ لها فوقَ أهلها إلماءُ(٣٥)

– ولا تقف النظرة المتشائمة عند هذا الحد بل إنها لتصل إلى حدّ التطيّر من أسماء النجوم وألقابها، وذلك بحملها على دلالات متشائمة مُنفِّرة، كما فعل عند حديثه



عن مجموعة النجوم المعروفة ببنات نعش[٣٦] مستغلاً بذلك دلالة كلمة (نعش) – التي تعني سرير الميت – للإشارة إلى الفناء الذي ينتظرها، وذلك في قوله:

أنـعـشٌ فـي الـسـمـاءِ وذاك أمـرٌ   يـدلُّ عـلـى هـلاك بـنـات نـعـشِ![٣٧]

وعندما يتحدث عن (السماك الأعزل)[٣٨] فإنه يلتقط منه وصفَ الأعزل ليُولِّد منه معنى العزل والإبعاد فيمهد بذلك لما سيُسنده إليه من الشكوى والتضجّر، ومن ثم يتوصل بذلك إلى فكرته القائلة أن الشكوى من العيش سمة ملازمة لكل المخلوقات، وذلك في قوله:

كـلُّ الـبـريّـةِ شـاكٍ لـو سَـمـا زُحَـلٌ   إلى السِّماك رآه يشتكي العزلا[٣٩]

- وتظهر براعته في توليد الدلالات حين يلحظ وصف منازل الكواكب ليشتق من الفعل (نَزَل) اسمَ الفاعل (نازل) ثم يُورده مؤنّثاً بصيغة الجمع (نوازل) لتكتمل بذلك حبكة التورية، فالمعنى القريب – غير المراد – أن الكواكب (نوازل) في بروجها، والمعنى البعيد المراد بالنوازل: المصائب والرزايا، ففي أساس البلاغة[٤٠]: «ومن المجاز: نزل به مكروه، وأصابته نازلة من نوازل الدهر». وذلك في قوله:

أرى أربـعـاً آزرتْ سـبـعـةً   وتلك (نوازلُ) في اثني عشر[٤١]

وإيثاره استعمال صيغة (فواعل) – التي هي من صيغ جموع الكثرة – مما يرشّح تلك النظرة المتشائمة.

- ويستطيع الناظر في شعره أن يكتشف سرّ هذا التشاؤم المفرط على الرغم مما تحفل به مناظر النجوم المتلألئة من أسباب البهجة والجمال الباعثة على الارتياح والتفاؤل، فلقد شغله عن ذلك تأمّله في المصير المحتوم الذي ينتظرها حين يختل نظامها ويتناثر عقدها ويُكسَف نورها، ولذا فهو لا يرى فيها ما يراه الآخرون الغافلون عمّا تنبّه هو إليه، إنه يؤكّد في شعره تلك الحقيقة مراراً، محاولاً لفت انتباه الناس إليها، فهو يقول:

زُحَـلٌ أشـرفُ الـكـواكـب داراً   مِـن لـقـاء الـردى عـلـى مـيـعـادِ



ولنارِ المرّيخِ مِن حَدثانِ الدّهـ ـر مُطفٍ وإن علتْ في اتّقادِ
والثُّريّا رهينةٌ بافتراق الشـ (م) ـملِ حتى تُعدَّ في الأفرادِ[٤٢]

فهو يختار زُحل لأنه أعظم الكواكب علوّاً وارتفاعاً، ومع هذا فإنه لا يسلم من ملاقاة الردى، وأما المريخ فهو كوكب النحس والشرور المتأجج ناراً إلا أن لتلك النار مُطفئاً من حوادث الدهر وبلاياه، وأما الثريّا فهي رمز الاجتماع والائتلاف لأنها تضمّ مجموعة من النجوم، غير أن هذا الاجتماع لن يدوم طويلاً؛ إذ لابد من أن يأتيها ما يُشتّت شملها ويفرّق جمعها لتُعدّ ضمن الأفراد!. إذن فلا العلوّ الشاهق ولا القوّة الخارقة ولا الوحدة المتماسكة قادرة على حماية من لاذ بها من حتمية الفناء.

- ويشير أيضاً إلى أن الفرقدَين – وهما نجمان متلازمان – سيأتيهما ما يفرق تآخيهما ولو بعد حين، حيث يقول:

أيعلمُ نجمٌ طارقٌ برزيّةٍ من الدهر أم لا همَّ للأنس طارقُه
وهل فرقدُ الخضراء في الجوّ مُوقنٌ بأنّ أخاه بعدَ حينٍ مُفارِقُه[٤٣]

ومن هذا القبيل قوله:

نحن شئنا فلم يكن ما أردنا وتّمتْ للهِ فينا المشيّه
وثُريّا النجومِ تلقى حِماماً كالثُّريّا في رهطها القرشيّه[٤٤]

وقوله:

وما يدري الفتى والظنُّ جهلٌ وأقضيةُ المليكِ مُغيّباتُ
لعلَّ بناتِ نعشٍ والثُّريّا وشَرْقةَ للردى مُتأهّباتُ[٤٥]

وقوله:

وما أظنُّ المنايا تخطو كواكبَ جَرْبَهْ
ستأخذُ النسرَ والغفْـ ـرَ والسِّماكَ وتِرْبَهْ[٤٦]

ومنه أيضاً قوله في حق الثريا وحوادث الدهر:

وما خِلتُهُ إلّا سيبعثُ حادثاً يُحِلُّ الثُّريّا عن جبينِ الغياهِبِ[٤٧]



- ولمّا كان الأسد رمزاً للقوة فإنّ أبا العلاء يختار برجه لتمثيل النجوم في حلبة الصراع مع القدر، ليبيّن أنها مع كل ما تُحاط به من هالات القوة وما يُشاع عنها من أسرار القدرة الخفيّة عاجزة عن كفّ يد نوائب القدر، فهي في ذلك كالأسد الأرضي الذي يعجز أيضاً عن الوقوف في وجهها مع ما عُرف عنه من الجسارة والشجاعة، وذلك في قوله:

إلى الليثَين تُرسِلُ باقتدارٍ نوائبَها يدُ القدَرِ الهَجومِ
فمن أسدٍ يُعدُّ منَ الضواري ومن أسدٍ يُعدُّ من النجومِ[٤٨]

وللغرض ذاته يجمع بين الأسد والنسر – رمزي القوة أرضاً وسماءً – في قوله:

فحوادثُ الأيامِ غيرُ تواركٍ نسْرَ النجوم ولا السِّماكَ ولا الأسدْ[٤٩]

- وأبو العلاء كما هو مشهورٌ عنه يعدّ إنجاب الأبناء جناية عليهم لقدومهم بسبب ذلك إلى هذه الحياة المريرة مما يجعلهم غرضاً للحوادث والآفات وفق موقفه من الوجود، وقد أوصى أن يُكتب على قبره هذا البيت:

هذا جناه أبي عليَّ (م) وما جنيتُ على أحدْ![٥٠]

ولذا فهو يُوصي بالعزوبة ويُؤثرها على النكاح، فإن أبى الإنسان إلّا أن يتزوج مخافة العنت والإثم فإنه يحذّره من الإنجاب حيث يقول:

نَصحتُكَ لا تنكِحْ فإن خِفتَ مأثماً فأعرِسْ ولا تُنسِلْ فذلك أحزمُ[٥١]

وعطفاً على ذلك فإنه يُوازن بين النساء والنجوم فيجدهنّ يشتركن في جنس الأنوثة، غير أن النجوم لا تنجب، وتلك ميزة تفضل بها على النساء وتَشرُف، ولذا فهو يدعوهنَّ للاقتداء بالنجوم في هذا الجانب حيث يقول:

كوني الثريّا أو حَضارِ أو الـ ـجوزاءَ أو كالشمسِ لا تلِدُ
فتلك أشرف من مؤنّثةٍ نَجَلتْ فضاقَ بنسلِها البلدُ[٥٢]



ثالثاً – النجوم أحد مصادر الحجاج العقلي عند أبي العلاء:

يستعين أبو العلاء في ترسيخ عدد من المفاهيم والمواقف في ذهن المتلقي أو نقضها بمعرفته الواسعة بأحوال النجوم وصفاتها وخصائصها فينتخب منها ما يتفق مع بغيته ومراده، والمعجِب في هذا تلك القدرة المتميزة التي لا يتعذّر عليها التقاطُ الحجج من حوادث العالم العلوي لتوظيفها في سجال عقلي يتناول قضايا إنسانية ليس بينها وبين ذلك العالم أدنى اتصال في بادئ النظر. ويُمثِّل (التشبيه الضمني) أحد أبرز الأوعية الفنية التي استخدمها أبو العلاء في هذا الباب، فهذا النوع من التشبيه إنما يؤتى به غالباً لـ (بيان أن وجود المشبّه ممكن، وذلك في كلّ أمر غريب يُمكِن أن يُخالف فيه ويُدّعى امتناعه)(٥٣)، فهو من صور القياس العقلي القائم على المشابهة بين المقيس والمقيس عليه للتوصل إلى اتحادهما في النتيجة التي تمثل وجه الشبه. فمن هذه الأفكار التي التمس لها ما يؤيدها من حقائق عالم النجوم:

– التوسّط في الأمور هو الاختيار الصائب:

وذلك في قوله:

فإن كنتَ تبغي العزّ فابغِ توسّطا ... فعندَ التناهي يَقصُرُ المتطاولُ
تُوقَّى البدورُ النقصَ وهيَ أهلّةٌ ... ويُدركها النقصانُ وهي كواملُ(٥٤)

ففي البيت الأول يقرّر أن على طلاب مراتب العز والشرف أن يقتصدوا في طلابهم لها مكتفين منها بالمنزلة الوسطى، وألّا يسعوا خلف الفوز بالمنزلة العليا لأنهم لن يبلغوها. وتبدو هذه الفكرة غير مقنعة فلم الدعوة إلى الاقتصار على التوسط؟ وما الضرر الذي سيلحق أصحاب الهمم العالية إن أصروا على تجاوز هذا الحد؟ وأبو العلاء بلا ريب يدرك أن نفسَ المخاطَب سيخالجها شك في قبول دعواه، ومن ثم يسلّ ذلك التوجّس بدعوتها إلى تأمل مشهد متكرّر يثبت منطقية تلك الدعوى – أو على الأقل يخفف من غلواء الاعتراض عليها –، فيضرب المثل بأحوال القمر المتفاوتة بين ليلة وأخرى، فهو أبعدُ ما يكون عن النقص حينما يكون هلالاً – وهو الطور الأوسط من دورته – لكنه حينما يصير بدراً ليلةَ التمام يدركه النقص بعد ذلك.



وفي الاستدلال بذلك إشكالٌ؛ إذ إن القمر إنما يُسمّى هلالاً في ستّ الليالي الأولى من الشهر – وقيل: بل لثلاث[٥٥] –، ثمّ يصير بعدَ ذلك قمراً، ثم يدخل في طور الكمال – وهو الإبدار –، والمقصود: أن الكناية عن التوسّط بقوله (وهي أهلّة) غير دقيقة، لأن الأهلة تمثل طور البدء أما التوسط فللأقمار كما مرّ، فكان عليه أن يقول – في غير الشعر – (وهي أقمار) ليجيء القياس موافقاً للمطلوب منه وهو إثبات أن التوسط إذا ما قُورن بالكمال أبعدُ من النقص، ولكن قد يقال: إن القياس مَسوق لإثبات الشق الثاني من المطلوب (ويدركها النقصان وهي كوامل) دون الأول منه، فيتّجه ما قاله.

– الكمال مؤذن بقرب النقص والاختلال:

حوادث القدر ومُنغِّصاته – في نظر أبي العلاء – إنما تتسلط على أهل الكمال، وأما من دونهم فهو بمنأى عنها، وللتدليل على ذلك يذكر شاهدين من العالم العلوي يؤيدان وجهة نظره حيث يقول:

الناس بالأقدار نالوا كلَّ ما	رُزِقوا ولم يُعطَوا على الأقدار
والنخلُ يُجنى حينَ يُرطِبُ زَهوهُ	والبدرُ يُكسَفُ ليلةَ الإبدار[٥٦]

وما يعنينا هو الشاهد الثاني، وهو أن القمر إنما يُكسفُ حينما يكون بدراً أي: عند اكتماله وامتلائه. والمقصود عدم الرُّكون إلى الثقة بالنفس والاعتداد بأسباب القوة عند توفّرها؛ إذ إنهما مهما عظم شأنهما لا يحولان دون نزول البلاء ووقوع المقدور كما قيل:

إذا تمّ أمرٌ دنا نقصُهُ	توَقَّعْ زوالاً إذا قيلَ تَمْ

– التردّي والاضمحلال سمة الحياة:

يُلِحُّ أبو العلاء على هذه الفكرة كثيراً في شعره، ويمكن القول إنها تمثل فكرة محورية يستند إليها موقفه من الحياة، فلقد رأى في الأطوار التي يمر بها القمر (الإهلال فالإبدار فالمحاق) حجة مقنعة لإثبات صحة نظرته، وتكرّر ذلك في مواضع عدة من شعره حيث يقول:



والمرءُ كالبدر بينا لاحَ كاملةً أنوارُه عاد للنُّقصانِ فامتُحِقا[٥٧]

ويقول:

والبدرُ يكملُ والمَحاقُ مآلُه وكذا الأهلّةُ عُقْبُها الإبدارُ[٥٨]

وهو يتمنّى أن يكون كالبدر الذي تتجدّد حياته مع غرة الشهر الجديد حيث يقول:

فليتَ الفتى كالبدر جُدِّد عمرُه يعود هلالاً كلّما فَنِي الشّهرُ[٥٩]

وأبو العلاء مسبوق إلى هذا المعنى الذي طرقه الشعراء من قبله، قال المرزوقي في الأزمنة والأمكنة[٦٠]: وأنشد أبو زيد عن المُفضّل لرجل من بني سعد:

مهما يكن ريبُ المنونِ فإنّني أرى قمرَ الليل المُعذَّبَ كالفتى
يُهِلُّ صغيراً ثمّ يعظُمُ قَدْرُه وصورتُه حتى إذا هو ما استوى
يُقاربُ يخبو ضوؤه وشُعاعه ويَمصَحُ حتى يستسِرَّ فلا يُرى
كذلك زَيْدُ المرءِ ثمّ انتقاصُه وتكرارُه في إثره بعدَ ما مضى[٦١]

- غير أن التجديد الذي يسعى أبو العلاء إلى خلعه على هذا الوصف المطروق يتمثل في سعيه إلى أن يُضفي على هذه الطبيعة المتقلّبة المتحوّلة نوعاً من التشاؤم المُؤيس الذي تصطبغ به نظرته إلى الحياة عموماً، ولذا فهو يُعقب هذا التصوير بما يؤيد ذلك في قوله:

نعم لاحَ الهلالُ فصار بدراً وعاد لنقصِه فهو النَّحيلُ
كذاك الدهرُ إقبالٌ ونحسٌ وإبرامٌ يُعاقِبُه سَحيلُ[٦٢]

إذن، فالسُّعود فيها لا يدوم ولابد من نحس يَعقُبه فيَذهب ببهجته كما أن البدر لا يهنأ بكماله وتمامه حتى يكِرَّ عليه المحق ويلحقه النقص، وتأمل في قوله (وعاد لنقصه فهو النحيل) تقديم الضمير (هو) وما يوحي به من تقوية الحكم وتوكيده؛ إذ الأصل في القمر أن يكون نحيلاً، وأما الامتلاء فأمر طارئٌ على ذلك الأصل، ولذا استخدم الفعل (عاد) – والعود: رجوع الشيء إلى ما كان عليه – ليدلّل على صحة ذلك الزعم.



- ويمضي أبو العلاء قُدماً في هذا الاتجاه التشاؤمي ليجعل هذا التحوّل مُؤذِناً بنعي الحياة وقُرب تَصرّمها، ورسولاً إلى الأبدان يبشرها بالهزال والزوال، ولذا فهو يرشح نظرته بضرب من الطِّباق الذي يُكثّف به مأساوية المصير المترنّح بين ثنائية الأضداد، فالبدر متصف بالبدانة والهلال منعوت بالهزال ليكون الانتقال من الضدّ إلى الضدّ، فيكتسب السياق الشعري مزيداً من الحُجّيّة والإقناع، حيث يقول:

باتَ ينعى الأبدانَ بدرٌ بَدينٌ … وهلالٌ في أفقِهِ مَهزولُ
كم أبادا مِن عالَمٍ وأعادا … سابحاً وهو في الثرى مأزولُ[٦٣]

- وهو يجعل هذا التحوّل مُؤيساً من الخلاص من السقام والانعتاق من سنّة التناقص التي تمثّل السمة المميّزة للحياة، حيث يقول:

أعيا الخلاصُ من السَّقامِ وصورةُ الـ … ـقمرِ المنيرِ إلى هلالٍ ناحِلِ[٦٤]

- وإذا كان الحديث عن النَّحس والشرور فلا غنى لأبي العلاء من الاستعانة بالمرّيخ الذي يرمز عنده – كما سلف – للنحس والبلاء لتكتمل بذلك حلقة الشؤم في هذا الموقف القمري، ولئن كان الكوكبان يشتركان معاً في الظهور فالاختفاء فالعودة مرة ثانية للظهور، فإن النزعة التشاؤمية تبسط سلطانها في اختيار القمر ليلعب دور المختفي عقب الظهور واختيار المريخ ليمثل دور العائد للظهور عقب الاختفاء، وكأن الأصل في الأول الاختفاء وفي الثاني الظهور، وتلك إشارة ناطقة بتغليب النحس والشؤم على السعد والتفاؤل، حيث يقول:

هلكتْ سُعودٌ في القبائل جمّةٌ … وأقام في جوّ السماء سُعودُ
بدرٌ يُصوّرُ ثمّ يُمحَقُ نورُه … ويُغرَّبُ المرّيخُ ثمّ يعودُ[٦٥]

– التأخّر الزمني لا يحول دون بلوغ المكانة الشريفة:

لا يوافق أبو العلاء الفريق الزاعم أن السَّبق الزمني يُوجب للمتقدِّم فضلاً يقصر عنه المتأخر كما تنطق بصريح ذلك العبارة الشائعة (ما ترك الأول للآخر)، ولذا فهو حين يُعدّد فضائل أسلاف الممدوح يأخذ في اعتباره ردّ ذلك الزعم ليتوصل إلى أن الممدوح على الرغم من تأخّره الزمني عنهم فإنه يماثلهم في الشرف والرفعة،



ويستدل على صحة ذلك بنور البدر الذي لا يخفّ توهّجه مع تقدّم الليل، فهو هو سواء كان في أول الليل أم في آخره، حيث يقول مخاطباً ممدوحه:

وافقتَهم في اختلافٍ من زمانِكمُ والبدرُ في الوَهْنِ مثل البدر في السحَرِ (٦٦)

ومما يدل على قوة هذا الاستدلال تضمين ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) لعَجُز البيت في مدحة نبوية حيث يقول:

وأنتَ في القبرِ حيٌّ ما عراك بِلى والبدرُ في الوهن مثل البدر في السحرِ (٦٧)

ويكرّر أبو العلاء هذا الدليل بطريقة أخرى، فيقول في إحدى مدائحه:

لجدّكَ كان المجدُ ثمّ حويتَهُ ولابنِكِ يُبنى منهُ أشرفُ مَقعَدِ
وما البدرُ إلاّ واحدٌ غيرَ أنّه يَغيبُ ويأتي بالضياءِ المُجدَّدِ
فلا تحسَبِ الأقمارَ خلْقاً كثيرةً فجُملتُها مِن نَيّرٍ مُترَدِّدِ (٦٨)

فالجاهل يظنّ أن القمر ليس واحداً لما يراه من تكرّر مغيبه وطلوعه في أزمان متفاوتة، فيحسبه مجموعة أقمار متباينة، وحقيقة الأمر أنه – وإن تعدّدت صوره – واحدٌ، فكذلك حال الممدوح مع جدّه وابنه إذ هم في الفضل والسؤدد في مرتبة واحدة، وكلّ منهم ينوب مناب الآخر، فكأنهم في الحقيقة شخصٌ واحدٌ وإن ظُنّوا ثلاثةً.

– بالبصيرة لا البصر يُقوّم الرجال ويُوزنون:

وذلك في قوله:

رأوكَ بالعينِ فاستغوتْهُمُ ظِنَنٌ ولم يروكَ بفكرٍ صادِقِ الخَبَرِ
والنّجمُ تستصغِرُ الأبصارُ صُورتَه والذَّنْبُ للطَّرْفِ لا للنجمِ في الصِّغَرِ (٦٩)

فهو ينصب عبر التشبيه الضمني دليلاً عقلياً يثبتُ به أنّ (مَن قضى على الأشياء بحسبِ ما تُدركه حواسه ولم يكن له اعتبار صحيح يقف به على حقائق الأشياء أخطأ في قدْرها، وحكَمَ على الأمور بخلاف ما هي عليه؛ لأن الحواسّ قد تُخطئ في مُدرَكاتها كحاسّة البصر ترى النجم صغيراً وهو أعظم من الأرض) (٧٠).



ويشير البطليوسي إلى أنّ أبا العلاء مسبوق إلى مثل هذا الاستدلال، فالبحتري يقول:

إنّ النجومَ نجومَ الجوّ أصغرُها ... في العينِ أبعدُها في الجوّ إصعادا[٧١]

– تصغير الأسماء لا يدلّ بالضرورة على تصغير المُسمّيات:

هذه الحقيقة يسوقها أبو العلاء في مقام الردّ على الحسّاد الذين لا يجدون ما ينفسون به عن كمد حسدهم إلا بتصغير اسم المحسود تحقيراً له، فهو يلتمس ما يؤيد به هذه الحقيقة فيجد بغيته في عالم النجوم مستشهداً بأسماء بعضها المُصغّرة على الرغم من عِظَم جِرمها وعلوّ منزلتها؛ إذ لم يقلل ذلك التصغير اللفظي من حقيقة شأنها كالثريّا وسُهيل. وقد ألحّ على إثبات هذه الفكرة في شعره كثيراً، حيث يقول:

إذا صغّر اسمَكَ حاسدوكَ فلا تُرَعْ ... لذلك والدنيا بسعدِك تفغُرُ

فإنّ الثُّريّا والُّجَينَ وحسبُنا ... بها وسُهيلاً كلُّهنّ مُصغّرُ[٧٢]

ويقول:

قبلَ أن ينطِقَ الزمانُ بتصغيـ ... ـر كِبارٍ مِن فرط عِيٍّ وجهلِ

إذْ ثُريّا النجومِ تُسمّى بثَرْوى ... وسُهيلُ السماءِ يُدعَى بسَهلِ[٧٣]

ويقول أيضاً:

ما حطَّ رُتبَتَكَ الحسودُ وما الذي ... ضرَّ الأميرَ بأنْ يُقال أُمَيِّرُ

وسُهيلٌ اللمّاحُ صُغِّرَ لفظُهُ ... فانظُرْ أهيّرَهُ بذاكَ مُهيِّرُ[٧٤]

ويقول:

لا يجعلَنْ هنداً هُنيدةَ فُوكَ ... فالتصغيرُ مقرونٌ إلى الإصغار

إنّ الثُّريّا حينَ صغّرَ لفظَها ... أهلُ البسيطةِ ما دنتْ لصَغارٍ[٧٥]

– توافق الأسماء لا يعني تطابق المسمّيات:

وعلاقة هذه القضية بسابقتها وثيقة لحيمة، فالغاية المقصودة من القضيتين: عدم الاغترار بالأسماء والألقاب التي قد لا تُعبّر بصدقٍ عن حقيقة المتسمّين بها، فكما



أن التصغير قد يُفهَم منه في كثير من الأحيان تحقيرُ المصغَّر مع أن حقيقته قد تكون على خلاف ذلك، فكذلك اتفاق الأسماء ينبغي ألا يُسلِمنا إلى القطع باتفاق المسمّيات في الشأن والقدر. وفي سبيل التدليل على صحة هذه القضية فإنّ أبا العلاء يسوق مثالاً مستمداً من عالم النجوم يُظهر عظم التباين بين حقائق أصحاب الأسامي المتفقة، فلقب (الجوزاء) يطلق على مجموعة من النجوم التي تمثّل أحد الأبراج الاثني عشر المشهورة، وتُسمّى به أيضاً الشاة السوداء التي ضُرِب وسطُها ببياض(٧٦)، وبينهما - كما ترى - بونٌ شاسع معنىً وجناسٌ تامٌّ لفظاً، حيث يقول:

تـتـوافـقُ الأسـمـاء مـنّـا والـكُـنـى مـتـبـايـنـاتٌ فـانْـهَ جـهـلاً واحـزِم
هـيـهـاتَ مـا الـجـوزاءُ تُـرزِمُ عـنـدهـا وَجـنـاءُ كـالـجـوزاءِ ذاتِ الـمِـرزَم(٧٧)

ويحرص أبو العلاء على تكثيف معدل التوافق الظاهري بين الاثنين إلى درجة توقعنا في الالتباس والاشتباه حين يلفت الانتباه إلى وجه جديد من التطابق يتصل بعناصر عالمي الجوزاءين، وذلك عبر ما يسمّيه البديعيون (الجناس الاشتقاقي) القائم على تنوع المشتقات المولّدة من المادة اللغوية (رزم)(٧٨)، فتراه يشتق منها الفعل الرباعي (تُرزِم) مُسنَداً إلى الوَجناء (الناقة الشديدة) - المصاحبة للشاة - والإرزام: صوتُ حنينها على ولدها. ويشتق منها أيضاً ما يوافق الجوزاء النجمية وهو المِرزَم الذي هو اسم أحد نجوم هذه المجموعة، وهو بهذا ينبّهنا إلى أن التوافق الظاهري بين الأسماء وإن بلغ ما بلغ من درجات التشابه والتماثل ينبغي ألا يخدعنا ويجرّنا إلى طرد الحكم بذلك على ماهية المسميات وحقائقها.

- لا تحتقر جهد الضعيف:

ويسوق لذلك دليلاً يؤكّد صحة هذه النصيحة حيث يقول:

هـذي حِـبـال الـشـمـسِ وهـي ضـعـيـفـةٌ دامـتْ وكـم أبـلـت حِـبـالـةَ خـاتـلٍ(٧٩)

فأشعة الشمس على ضعفها تتّسم بالاستمرارية والدوام، وهي مع هذا الضعف قد أبلت الكثير من حبائل الصائدين المحكمة الفتل والنسج. ولا يخفى السر



في اختيار تعبير (حبال الشمس) دون أشعتها – مثلاً – طلباً للمجانسة بين الحبال والحبالة، ولتكون الموازنة بينهما موازنة بين فردين من جنس واحد.

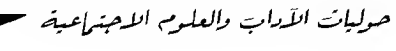
– الوحدة لا توحش صاحبها:

يظنّ الناس أن في الوحدة والخلوة بالنفس والانقطاع عن الخلطة ما يجلب الوحشة والغمّ، لأن الأنس لا يكون إلا بالمخالطة والاجتماع، غير أن أبا العلاء يخالفهم في هذه النظرة التي تقلل من شأن الوحدة حيث تقصر النظر فيها على الجانب المنفّر منها مهملة الجوانب المشرقة منها التي تُكسب صاحبها التميز عن الناس، ولذا فهو يستدل على صحة نظرته بتوجيهنا إلى التأمل في حال الكواكب، فسُهيل نجم فريد منعزل عن بقية النجوم وهو يجتاب السماء وحده، لا يحول بينه وبين ذلك اتصافه بالوحدة والتفرّد، ومن ثمّ فإنّه يريد أن يتوصل إلى إقناعنا بأنّ الانفراد والوحدة لا يقفان حجر عثرة بين المتصف بهما وبلوغ المعالي، وربما كانا خير معين على تحقيق ذلك، حيث يقول:

لا تُوحِشُ الوحدةُ أصحابَها إنّ سهيلاً وحدَه فاردُ[٨٠]

على أن مثل هذا الاحتجاج يبدو ضعيفاً يفتقر إلى حجّية الإقناع، فالنجوم سواء كانت أفراداً أم مجموعات تشترك في كونها تجتاب السماء وتدور في أفلاكها، ومن ثم فلا يمكن الادّعاء أن الانفراد يمثل ميزة للنجم على أضرابه من المنضوين ضمن المجموعات النجمية كالثريا مثلاً، فالتفرّد والاجتماع ليس لهما تعلّق بمسير النجوم وحركتها، وأما الوحشة والأنس فهما متصوّران في الإنسان والحيوان لأنهما مما يأنس بالاجتماع إلى ألآفه وأشباهه، ولذا فكان الحريّ به أن ينتزع على ذلك دليلاً مستمداً من هذين العالمين ليكون أكثر إقناعاً وقبولاً.

وهنا ملحوظة تتصل بأبيات اللزوميات حيث يخضع توليد المعاني وسبكها في كثير منها لما يفرضه التزام ما لا يلزم من الألفاظ في القافية، وهذا البيت من مقطوعة تتألف من تسعة أبيات ختمت جميعاً بلازمة (آرد)، وهو ما فرض على أبي العلاء





سوق مثل هذه الحجج غير المقنعة. ومن هذا القبيل الذي يبدو فيه الخضوع لسلطان اللفظ جلياً ظاهراً قوله في التحذير من الدعاوى العريضة:

وليحذرِ الدعوى اللبيبُ فإنّها ... للفضلِ مُهلِكةٌ وخَطبٌ مُوبِقُ
لو قال بدرُ التَّمِّ إنّي درهمٌ ... قالت له السفهاءُ: أنت مُزأبَقُ!(٨١)

فالتزام الباء والقاف في قافية أبيات المقطوعة كان السبب الرئيس في تركيب هذا الدليل المتهاوي، وإلاّ فما الذي يدعو بدر التمّ إلى ادّعاء أنه درهم مع ما بين الاثنين من التفاوت الشاسع؟ أليس في تلك الدعوى – لو سُلّمت له – ما ينقص من قدر بهائه وإشراقه؟ إن المتصوّر في هذا المقام أن يدّعي الدرهم أنه البدر ليتسق السياق المعنوي ويتقبل السامع وصف ذلك بـ (الدعوى العريضة المردودة)! وواضح أن وصف (المُزأبَق) – المستخدم عادة لوصف الدراهم المغشوشة – إنما جيء به هنا لتوافقه مع قافية اللزومية، وهو ما أسهم بصورة مباشرة في صياغة تلك الدعوى على هذا النحو غير المقنع.



هوامش الفصل الأول

١ - **السقط** ص ١٤١ - ١٤٢.

٢ - في **شرح السقط** (٢/٨٧٢).

٣ - المتنبي، **ديوانه** (بالشرح المنسوب للعكبري). تحقيق مصطفى السقا وآخرين/بيروت. دار المعرفة دت. (١/١٥٦).

٤ - **السقط** ص ٧١.

٥ - **المصدر السابق** ص ٧٦.

البرجيس: المشتري وهو سعد، والمريخ نحس. والكيان: الحال التي يكون عليها الشيء. والإباق: هروب العبد من بلد سيده. والدفان - أو ادّفان كما في بعض نسخ السقط -: أن يتوارى عنه في نفس البلد. (**شروح السقط**: ١/١٩٧ - ١٩٨).

٦ - وهي طائفة المخمّسة من الشيعة الذين يزعمون أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - وعلياً والحسن والحسين وفاطمة كالشخص الواحد، وأن الروح كان مجراها فيهم واحداً. انظر: **شروح السقط** (١/٤٤٦).

٧ - **السقط** ص ٩٦.

٨ - **المصدر السابق** ص ١٣٨. والجوزاء والمرزم نجمان.

٩ - **المصدر السابق** ص ٣٧.

١٠ - انظر: **شروح السقط** (٣/١٣١٣ - ١٣١٤).

١١ - **اللزوميات** (٢/٢٨٤).

١٢ - **المصدر السابق** (١/٢٤٣ - ٢٤٤).

١٣ - **المصدر السابق** (١/١٠٧).

١٤ - **المصدر السابق** (٢/١٨٥).



١٥ - **السقط** ص ١٩٩.

١٦ - **المصدر السابق** وقيل: المراد على قول المنجمين أن يكون مؤثراً كزحل. انظر: **شروح السقط** (٢/ ٥٦٩).

١٧ - **السقط** ص ٨٠.

١٨ - انظر: **شروح السقط** (١/ ٢٨١).

١٩ - **اللزوميات** (١/ ٥١).

٢٠ - **السقط** ص ١٠٠.

٢١ - **المصدر السابق** ص ٥٦.

٢٢ - **اللزوميات** (١/ ٧١). كيوان: زُحل. والحبّ: القرط. وغير الدهر: أحداثه المغيّرة. وسناء فارع أي: علو مرتفع. والمربّ: المقيم من أربّ فلان بالمكان إذا أقام فيه.

٢٣ - **المصدر السابق** (١/ ٦٣). والمُطنّب: الذي مُدّت أطنابه، والطُّنُب: حبل طويل يُشدّ به سرادق البيت أو الوتد.

٢٤ - **المصدر السابق** (٢/ ٢٣٢).

٢٥ - **السقط** ص ١٩.

٢٦ - **اللزوميات** (١/ ٤٠٨).

٢٧ - **المصدر السابق** (٢/ ٣١).

٢٨ - **المصدر السابق** (٢/ ٣٣). وفي **الأساس** ص ٦٩: (جاسوا خلال الديار: داروا فيها بالعيث والفساد).

٢٩ - **السقط** ص ٨.

٣٠ - **اللزوميات** (٢/ ٢٢).

٣١ - **السقط** ص ١٤. وسليل الطين: آدم، والوزن: نجم.

٣٢ - **اللزوميات** (١/ ١٠٥).



٣٣ – **اللزوميات** (٢/٣١٨). المين: الكذب. والأمم: القصد. واللمم جمع لِمّة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن.

٣٤ – انظر: السيوطي، الجلال: **الوسائل في معرفة الأوائل**[٨٢]. تحقيق إبراهيم العدوي وعلي عمر/القاهرة – م الخانجي ١٩٨٠. ص ٢٠.

٣٥ – **اللزوميات** (١/٤٥). والإلماء: الأخذ خُفية.

٣٦ – وقد تقدّم التعريف بها في ص ٣٧.

٣٧ – **اللزوميات** (٢/٥٦).

٣٨ – السماكان: نجمان نيّران وهما الرامح والأعزل، وقيل له أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب.

٣٩ – **اللزوميات** (٢/٢٠٦).

٤٠ – الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص ٤٥٢.

٤١ – **اللزوميات** (١/٤١٤)، وقريب منه قوله (١/٤٠٩):

جسدٌ من أربعٍ تلحظها سبعةٌ راتبة في اثني عشر

والأربع: الطبائع، والسبعة: الأفلاك، والاثنا عشر: البروج.

٤٢ – **السقط** ص ١٢.

٤٣ – **اللزوميات** (٢/١٢٦ – ١٢٧). والخضراء: السماء.

٤٤ – **المصدر السابق** (٢/٤٥٦).

ويعني بالثريّا القرشية المرأة المذكورة في قول عمر بن أبي ربيعة:

أيُّها المنكِحُ الثّريا سُهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

٤٥ – **المصدر السابق** (١/١٣٥). وشرقة من أسماء الشمس.

٤٦ – **المصدر السابق** (١/٩٧). والجَربة من أسماء السماء. والغفر: ثلاثة كواكب.

٤٧ – **المصدر السابق** (١/١٠٣).

٤٨ – **المصدر السابق** (٢/٣٢٨).



٤٩ – **اللزوميات** (١/ ٢٦٧).

٥٠ – انظر: ابن خلكان، شمس الدين: **وفيات الأعيان**. تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨. (١/ ١١٤ – ١١٥).

٥١ – **اللزوميات** (٢/ ٢٧٠).

٥٢ – **المصدر السابق** (١/ ٢٣١). وحضار بالبناء على الكسر كقطام: كوكب. ونجلت: ولدت.

٥٣ – **إيضاح التلخيص** للخطيب القزويني ص ٣٥٦.

٥٤ – **السقط** ص ١٩٦.

٥٥ – انظر: المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة** ص٢٩٤، وابن سيده، علي بن إسماعيل: **المخصَص**، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٣٣١هـ (٩/ ٢٦)، والقلقشندي: **صبح الأعشى** (٢/ ١٥٧).

٥٦ – **اللزوميات** (١/ ٤٠١). الأقدار الأولى جمع قدَر وهو القضاء المكتوب، والثانية جمع قدْر وهو الشأن والمنزلة.

٥٧ – **المصدر السابق** (٢/ ١٣٨).

٥٨ – **المصدر السابق** (١/ ٣٠٥).

٥٩ – **المصدر السابق** (١/ ٢٧٧).

٦٠ – المرزوقي، **الأزمنة والأمكنة**، ص ٣٠٣.

٦١ – مصح بمعنى ذهب وانقطع. وزيد أي: زيادة.

٦٢ – **اللزوميات** (٢/ ١٨٩ – ١٩٠). والسحيل: ضد المُبرم.

٦٣ – **المصدر السابق** (٢/ ٢٠٠). مأزول من أزَله يأزِله إذا حبسه.

٦٤ – **المصدر السابق** (٢/ ٢٤٩).

٦٥ – **المصدر السابق** (١/ ٢٣٠) وسعود الأولى: سعود القبائل كسعد تميم وسعد قيس، وسعود الثانية: سعود النجوم.



٦٦ – **السقط** ص ٥٩. والوهن: مقدار ثلث الليل.

٦٧ – ابن الوردي، **ديوانه**، تحقيق أحمد الهيب، ط١، الكويت، دار القلم، ١٩٨٦. ص٣٠٤.

٦٨ – **السقط** ص٨٩.

٦٩ – **المصدر السابق** ص٦١.

٧٠ – من **شرح السقط** لابن السّيد البطليوسي (١/١٦٢).

٧١ – البحتري، **ديوانه**. تحقيق محمد التونجي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٩٤ (١/٢٦٥). وروايته فيه: نجوم الليل.. أذهبها في الجوّ.

٧٢ – **اللزوميات** (١/٢٨١). وفغر فاه إذا فتحه. والمراد: والدنيا تتحدث عن سعدك.

٧٣ – **المصدر السابق** (٢/٢٥٤).

٧٤ – **المصدر السابق** (١/٣٠٠). وهيّر لغة في هوّر، والمعنى: أسقطه وأهلكه.

٧٥ – **المصدر السابق** (١/٣٩٥). وانظر أيضاً (١/٤٠٨).

٧٦ – انظر مادة (ج و ز) في **اللسان** (٥/٣٢٦) والقاموس.

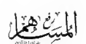
٧٧ – **اللزوميات** (٢/٣٢٩).

٧٨ – انظر المادة المذكورة في **اللسان** (١٢/٢٣٨) **والقاموس**.

٧٩ – **اللزوميات** (٢/٢٥٠). حبال الشمس: أشعتها. والحبالة: المصيدة. والخاتل: الصائد المتخفي.

٨٠ – **المصدر السابق** (١/٢٣٣).

٨١ – **المصدر السابق** (٢/١٣٢).



الفصل الثاني
التوظيف الفني للنجوم والكواكب
في الصبغ البديعي

يهتم أبو العلاء في شعره بالصنعة البديعية اهتماماً بالغاً يصل أحياناً إلى درجة التكلّف المستكره، ويكفي للتدليل على افتتانه بوجوه التحسين اللفظي وشغفه بها أنه التزم ما لا يلزم في قوافي ديوانه اللزوميات على كبر حجمه، وكثيراً ما أدى مثل هذا الالتزام إلى جعل المعاني تابعة للألفاظ وربما صيغ المعنى في كثير من الأحيان بطريقة ملتوية غامضة في سبيل الحفاظ على وحدة النمط اللزومي، ونماذج ذلك كثيرة عديدة، نشير إلى مثال واحد منها فزع فيه إلى لسان الحبشة ليعبّر عن الموت بـ (أبي ضابط)، وذلك في قوله:

وتغبطُ كلّاً على ما حواه — وما لك في العيشِ مِن غابطِ
وقفتَ على كلِّ بابٍ رأيـ — ـتَ حتّى نهاكَ أبو ضابطِ[١]

وقد أفاد أبو العلاء من معرفته الواسعة بأحوال النجوم وما يتصل بأسمائها وألقابها من لغات ودلالات في بناء عدد كبير من المحسّنات البديعية، وهذا عرض لما وقع من هذه الأنواع في شعره مرتبة بحسب تصنيفها البديعي:

١ - التورية:

- فمن صورها التورية عن المحبوبة بنجم (سعد الأخبية) في قوله:

يا سعدَ أخبيةِ الذين تحمّلوا — لمّا ركبتِ دُعيتِ سعدَ المركبِ[٢]

وسعدُ الأخبية من منازل القمر، وهو يتألف من أربعة كواكب متقاربة، واحدٌ منها في وسطها، ويُمثَّل لها برجلِ بَطّةٍ[٣]. وهو المعنى القريب غير المراد، وإنما ورّى به عن محبوبته، والمعنى: إنكِ سعدٌ لمن صاحبته، فأنت سعد خيام النازلين ما دمت في المقام، وسعدُ الركب الراحلين عند الارتحال. ويضيف البطليوسي[٤] في تعليل سرّ اختياره



لسعد الأخبية بأنّه أراد أيضاً الإشارة إلى أنّ محبوبتَه من أهل الوَبَر لا من أهل المَدَر. ويؤيد ما قاله الجوّ العام للقصيدة الحافل بوصف الصحراء وحرّها وهوامّها.

– ومنها توريته بلقبي السماكين (الأعزل والرامح) عن موصوفيهما في قوله:

ونفسُ الفتى وليستْ جِسمَه إذا جاء ميقاتُها تُعزَلُ
وإنّ السّماكين لا يخلُدانِ ويهلَكُ ذو الرُّمحِ والأعزلُ(٥)

في البيت الأول يقرر أبو العلاء أن مصير النفوس البشرية الفناء والعزل عن الحياة، ثم يرشّح ذلك بأن النجوم – ويمثّلها السماكان – ينتظرها المصير ذاته، فإذا ما جاء إلى عجزُ البيت الثاني رجع البيان إلى الفصل الأول من الفكرة المتعلق ببني البشر لا النجوم، وهنا يظهر الإيهام في التعبير بوصفي ذي الرمح والأعزل، إذ إن مجيئهما عقب السماكين يُوهم أن المراد لقباهما (السماك الرامح والسماك الأعزل) – وهذا هو المعنى القريب –، وهو إنما يريد أن الموت لا يقف في وجهه إنسان مهما عظم قدره وسلطانه؛ إذ الجميع خاضع لسطوته وقهره، يستوي في ذلك القوي ذو السلاح والعدة والضعيف الأعزل المسالم.

– ومنها التورية بالغزالة عن الشمس في قوله يصف حرّ الهاجرة:

ولاذَ مِن الغزالةِ وهي تُذكي بغَرْزِ الراكبِ القلقِ الغزالُ(٦)

فذكرُه الغزالَ في نهاية البيت يُوهم أن الغزالة المذكورة هي مؤنث غزال، وهو إنما يريد الغزالة بمعنى الشمس.

– ومنها التورية بالخضراء والنجم في قوله:

يا ليلُ قد نامَ الشَّجيُّ ولم يَنمْ جِنْحَ الدُّجنّةِ نجمُها المِسهارُ
إنْ كانتِ الخضراءُ روضاً ناضراً فلعلَّ زُهْرَ نُجومِها أزهارُ(٧)

فالخضراء من أسماء السماء، وتصلح أن تكون لقباً للأرض المُعشبة، ويؤيّد هذا الأخير افتراضها في الشطر الأول روضاً ناضراً، لكنّه يقصد المعنى البعيد وهو السماء. كما أن لفظ النجم مشترك بين الأجرام اللامعة في السماء، والنبات الذي لا ساق له كما فُسّر بذلك قوله تعالى ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]. وإذا



كانت الحال على هذا النحو من الالتباس والاختلاط على مستوى الدلالة فلا مانع إذن من أن تُكون زُهر نجوم الخضراء أزهاراً كما في الشطر الأخير! ولاسيّما أن النجم – علوياً كان أم سفلياً – يصلح أن يُوصف بالإزهار، فالنجوم مُزهرة أي: متلألئة مضيئة، والنجوم – بمعنى النباتات – مُزهرة أي ذات نَوْرٍ متفتّحٍ.

– ومنها التورية بالنسرين عن النجمين الملقّبين بذلك في قوله:

ولم أرقُبِ النَّسرَين في حَومةِ الدُّجى أظنّهما في كِفّتي يقعانِ(٨)

فقد يُظنّ للوهلة الأولى أن المراد بالنسر هنا الطائر المعروف، ويرشّح ذلك توقّع حطّه على كِفّته – وهي حِبالة الصائد –، إلّا أن في قوله (في حَومة الدجى) بالإضافة إلى التثنية إشارةً إلى المعنى البعيد المراد وهو نجم النسر.

– ومنها التورية بالجدي والخضراء عن برج الجدي والسماء في قوله:

ولا صحِبتُ ذئابَ الإنسِ طاويةً تراقِبُ الجديَ في الخضراءِ مَسبوتا(٩)

وأبو العلاء هنا يبالغ في الإيهام والتعمية عبر ما يسمّيه البديعيون (ترشيح التورية)(١٠) حين يجعل الجدي – البرج الفلكي المعروف وهو المعنى البعيد الموّرى عنه – وكأنه جديٌ حقيقي مُستلقٍ على الخضراء التي تحتمل أيضاً أحد معنيين: إما أن تكون صفة لموصوف محذوف تقديره: الأرض، وإما أن تكون السماء التي تلقّب بذلك. وأورد ذلك في سياق يُسهم في إخفاء المعنى الموّرى عنه، فهو يَكني عن قُطّاع الطريق بذئاب الإنس، ويصف الذّئاب بأنها جائعة طاوية، فهي تطلبُ صيداً تسدّ به جوعتها، ولن تجد صيداً أسهل من جدي غارق في النوم وسط الخضراء. وما يقصده أبو العلاء على الحقيقة أن الليل قد طال عليه وأن الرَّكْب لطول سيرهم وفَرَط ضجرهم من جمود كواكب الجدي وسكونها يهمّون بالهجوم عليها وافتراسها!.

– ومنها التورية بالسُّنبلة عن سميّها البرج الفلكي المعروف في قوله:

ما زالَ ربُّك ثابتاً في مُلكِهِ يَنمي إليه للعبادِ جُؤارُ
أيّامَ سُنبلةِ السماءِ زَريعةٌ وسُهيلُها فَحْلُ النُّجومِ حُوارُ(١١)

والمعنى أن الملك الإلهي ثابت منذ الأزل، وقد عبّر عن ذلك بأنه كان كذلك مذ



كانت السنبلة بذرة لم تُزرع بعد، وسهيلٌ الملقّب بـ (فحل النجوم) كان حينئذ حُواراً صغيراً على حدّ وصفه. أما وصفه سُهيلاً بالفحل فقد جَرى فيه على عادتهم في تشبيهه في انفراده عن النجوم بفحلٍ انقطع عن الضِّراب فتنحّى عن الإبل وتركها كما في قول ذي الرمّة:

وقد لاحَ للساري سُهيلٌ كأنّه قَريعُ هِجانٍ عارَضَ الشَّوْلَ جافِرُ(١٢)

ووصف السنبلة بأنها كانت زريعة ترشيح للمعنى القريب غير المراد، ويؤيّده ذكر الحوار الذي يرعى نبت الشجر، والمراد المعنى البعيد، وهو البرج الفلكي المشهور.

- ومنها التورية بالحمَل عن البرج المعروف في قوله:

إنّ الحوادثَ ما تزالُ لها مُدَىً حَمَلُ النُّجومِ ببعضِهِنَّ ذبيحُ(١٣)

وبنيةُ التورية تقوم على فكرة أن حوادث الدهر لا يَسلم من شرّها أحد حتى النجوم، وقد اختار برجَ الحمَل بالذات؛ لأنّ الحمَل مثال للبهيمة الضعيفة التي لا تدفع الضرَّ عن نفسها، ولذا فهي دوماً غرضٌ لسكاكين الذابحين، وحتى يكون السياق متناسباً والتورية محكمة فقد عبّر عن شرور هذه الحوادث بالمُدَى – جمع مُدْيَة (الشفرة) – وهي رمز لإراقة الدماء، ومن هنا تألّفت التورية على هذا النحو الذي يبدو فيه الحمل للوهلة الأولى بمعنى البهيمة لوصفه بذبيح المُدَى وهو ترشيحٌ للمعنى القريب غير المراد، وإن كانت الإضافة في (حَمَل النجوم) قد بيّنت المعنى المراد.

والملحوظ في بُنَى هذه التوريات عدم الالتزام الدقيق أصول صنعتها الفنية القائمة على الإيغال في الإبهام والغموض كما ترى في التوريتين الأخيرتين (سنبلة السماء، حمل النجوم) حيث تكشف الإضافة في كل منهما سَتْرَ غموضها بطريقة تُخليها من سحر صنعتها الفنيّة لسهولة اكتشاف المتلقي حقيقة المغزى المراد منها، ومعلوم أن التورية إنما تكتسب جاذبيتها في حبكة الإلغاز الدلالي الذي لا يُفصِح لك عن حقيقة سرّه إلا بعد إعمال الفكر والرويّة في الحقائق المتوارية وراء ستر المعاني القريبة الواضحة. ولعلّ أبا العلاء معذور في عدم التزامه التامّ أصول حبكة التورية؛

لأنّ هذا الفن البديعي لم تتضح معالمه وتتحرّر أصوله إلا في فترة زمنية تالية لعصره، أضف إلى هذا ندرة النماذج المتوفرة منه حينئذ بما يكفي لمحاكاتها واحتذاء نهجها.

وليس بعسير – في ضوء ما تقدّم – أن نكتشف سرّ حمل الصفدي[١٤] وابن حجّة الحموي[١٥] على أبي العلاء والتقليل من قيمة تورياته ووصفها بالعَقادة والتكلّف؛ لأنهما إنما نظرا إلى صنيعه بعين معايير زمنهما الذي نضجت فيه قواعد فنون التورية وتقاسيمها حتى كادت تحترق!.

٢ – الاستخدام:

وهو فنّ يتداخل مع التورية لاعتمادها معاً على تعدّد دلالات المشترك اللفظي، ويفرّق الصفدي[١٦] بينهما بأن المشترك إذا لزم استعماله في مفهومَيه معاً فهو الاستخدام، وإنْ أُريدَ أحدُ مفهوميه في الظاهر مع لمح الآخر في الباطن فهو التورية. وقد سبقه إلى ذلك ابن أبي الإصبع[١٧] حيث قال: التورية استعمال أحد المعنيين، والاستخدام استعمالهما معاً.

وللبديعيين في تعريفه طريقتان:

الأولى: طريقة الخطيب القزويني ومن تبعه[١٨] التي ترى أن الاستخدام: أن يُراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثمّ بضميره معناه الآخر. وقد وقفت بحسب هذا التعريف على استخدام (نجمي) وحيد في شعر أبي العلاء، وهو قوله:

فعُقّوا وصلّوا واصمتوا عن تناظرٍ   فكلُّ أميرٍ بالحوادثِ يُعزَلُ
وما ردَّ عن آل (السِّماكِ) سِلاحُه   ولا كَفَّ عنه الموتَ إنْ قيلَ أعزلُ[١٩]

فلقب (السماك) مشترك بين نجمين: أحدهما يقال له الرامح، والآخر الأعزل. وقد دلّ بالاسم الصريح على الأول في صدر البيت، وبالضمير المستتر (هو) في عجزه على الثاني، إذ تقدير الكلام: إن قيل: هو أعزل. والاستخدام هنا يؤيد المضمون الفكري للأبيات الذي يقرّر أن حتمية الفناء والعزل عن الحياة يخضع لسلطانها شاكي السلاح والأعزل المسالم.



والثانية: طريقة ابن أبي الإصبع وبدر الدين ابن مالك[٢٠]، التي ترى أن الاستخدام إطلاق لفظ مشترك بين معنيين ابتداءً، ثمّ يُؤتى بلفظين: يُفهَم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر. ومثّلوا له بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٨ و٣٩] فلفظة (كتاب) تعني: الأجل المحتوم والكتاب المكتوب، ودلّت على الأول بقرينة (أجل)، وعلى الثاني بقرينة (يمحو).

وقد وقفت على نموذجين وظّف فيهما أبو العلاء الألقاب النجمية ذات الدلالات المشتركة في إيجاد نوع من التوتر بين دلالاتها الفلكية واللغوية، حيث يستخدم اللقب ابتداء في إحدى دلالتيه ثم ينتقل بتخلّص ذكيٍّ إلى الدلالة الأخرى متجاهلاً الدلالة الأولى، مع المحافظة في الاستخدامين على وحدة السياق الفكري للأبيات في كلتا الدلالتين، كما تراه في قوله في مدح علويٍّ:

أحد الخمسة الذين همُ الأغْـ	ـراضُ في كلِّ منطقٍ والمعاني
لو تأتّى لنَطحِها حَمَلُ الشُّهْـ	ـبِ تَردَّى عن رأسِهِ الشَّرَطانِ
أو أراد السِّماكُ طعناً لها عا	د كسيرَ القناةِ قبلَ الطِّعانِ
أو رَمَتْها قوسُ الكواكبِ زالَ العَجْـ	ـسُ منها وخانَها الأبهرانِ
أو عصاها حوتُ النُّجومِ سقاه	حَتفَهُ صائدٌ مِنَ الحَدثانِ[٢١]

فهو يُصوّر منعة الممدوح وآله والعناية الربّانية التي تحوطهم فلا يتمكّن من النيل منهم أعداؤهم ولو كانوا بمنزلة النجوم عزة وشرفاً. وفي هذه الأبيات يزاوج أبو العلاء بين دلالات ألقاب النجوم اللغوية والفلكية (الحمَل، الشَّرَطان، السماك الرامح، القوس، الحوت) حتى إنه ليتناسى المعنى الفلكي متجاهلاً له تجاهل العارف ليمضي في الحديث عن تلك النجوم وما يتصل بها من أحوال وأوصاف من منطلق لغوي خالص يتلاءم مع مشهد المعركة المرتقبة التي ستكلّل بنصر سريع للممدوح وآله، فتراه يصوّر الحمَل – البرج المعروف – وهو يهمّ بنطح تلك النجوم العَلَويّة – بفتح العين واللام – فيرتدّ مهزوماً وقد طار من هول الصدمة قرناه – وهما الشرَطان –،



ويدّعي في السياق ذاته أن السماك الرامح – وسُمّي بذلك لكوكبٍ بين يديه – لو أقدم على طعنها لانكسرت قناته، وكذلك الحال مع القوس – البرج المعروف – فلو حاولت رميها بسهامها لتهشّم مقبضها وخار عزمها، وما حال الحوت – البرج المعروف – بخير منها؛ إذ لو رام عصيانها والخروج عن طاعتها لكان له من حوادث الدهر وقوارعه صائد لا يرحم.

- والنموذج الآخر في تدليله على أن مصير الفناء المنتظر لا يُفلت منه أحد ولو بلغ في العزة والرفعة مبلغ النجوم:

هلْ يأمنُ الحوتُ مِن الشُّهبِ أنْ ... يأخذَه في الكفّةِ الصائدُ
أو حَمَلٌ نُزِّهَ في الجوِّ أنْ ... يَغتالَه بالمُديةِ الكائدُ[٢٢]

فتراه يثبت ابتداء أن المراد بالحوت البرجَ الفلكي بدليل صفته (من الشّهب)، ثم يتناسى هذا المعنى وكأنه يتحدّث عن حوت بحري لا يأمن في أي لحظة أن يقع في شبكة الصائد، وكذا الشأن بالنسبة للحمَل حين يتجاهل دلالته الفلكية بعد أن يثبتها بصفة (نُزِّه في الجوّ) ويتحدّث عنه باعتباره أحد الحُمْلان الأرضية التي لا تسلم من الذبح بمُدى آكليها من البشر.

- وثمّة نموذج ثالث لكنه باهت خليٌّ من الحسن، وهو ما تضمّنه قوله:

وقالوا قد بدا المُشتري في الظلامِ ... فياليتَ شعريَ: ماذا اشترى؟![٢٣]

فالمشتري هو الكوكب المعروف، وهو يصلح أيضاً أن يكون اسم فاعل من (اشترى)، وقد استعمله ابتداء بالمعنى الأول بقرينة (بدا في الظلام)، ثم أعرض عن هذه الدلالة حين تساءل في نهاية البيت (ماذا اشترى؟) فأراد بذلك معنى اسم الفاعل. وليس في هذا الصنيع ما يستحسن؛ لأنه لا يعدو تلاعباً ظاهرياً بالدلالات لا يُتوخّى من وراء ذلك غاية معنوية أو صنعة فنيّة تسوّغ له ذلك، بخلاف الصور السالفة فقد رأينا كيف أدّت المراوحة بين الدلالات دوراً وظيفياً خادماً للسياق الفكري للأبيات وتحسيناً معنوياً تكميلياً لا يُنكر.



٣ – حُسن التعليل:

ومن أحسن من عرّفه بدر الدين بن مالك في المصباح[٣٤]، فقال: «أن تقصِد إلى حكمٍ فتراه مستبعداً لكونه غريباً أو عجيباً أو لطيفاً أو نحو ذلك، فتأتي على سبيل التطرّف بصفةٍ مناسبة للتعليل فتدّعي كونها علّةً للحكم لتُوهِمَ تحقُّقَه».

– فمن صور التعليل المعتمدة على عالم النجوم قوله في رثاء علويٍّ:

نعيناه حتّى للغزالةِ والسُّها ... فكلٌّ تمنّى لو فَداهُ مِن الحَتْمِ
وما كُلفةُ البدرِ المنيرِ قديمةً ... ولكنّها في وجهه أثرُ اللَّدمِ[٢٥]

فهو يُعلّل السواد الذي يعلو وجه البدر بتعليل منطقي غريب ينسجم مع الموقف الشعوري الذي يسيطر على القصيدة فيدعي أنه ناشئٌ عن لطم البدر وجهه حزناً على موت المرثيّ وإظهاراً لعظم الرزيّة بفقده، وقد هيّأ لهذا التعليل بما ذكره قبلُ من حزن كلّ من الشمس والسُّها لموته وتمنيهما لو قدرا على افتدائه من المنيّة.

– ومنها قوله في تعليل الاهتزاز الضوئي الذي تبدو عليه النجوم في عين الناظر إليها:

هل يأمنُ البِرجيسُ في عزّه ... مِن قدَرٍ يُعدِمُه سعدَهْ
كأنّما النجمُ لخوفِ الردى ... تأخذُه مِن فَرَقٍ رِعدَهْ[٢٦]

فهو يقرّر أن الموت هو النهاية المحتومة التي لا تسلم منها النجوم على علوّها وارتفاعها، ومن ثمّ فإن الحركة الاهتزازية التي تُرى عند توهّجها وتلألئها ليلاً ليست – في نظره – إلا رِعدة الخوف التي تعتري أجرامها عند تذكّرها لذلك المصير الآتي لا محالة.

– ومنها قوله في تعليل تكلّمه بالمجاز توسّعاً منه في فنون القول:

لا تُقيّدْ عليّ لفظي فإنّي ... مِثلُ غيري تكلّمي بالمجازِ
تُنسَبُ الشُّهْبُ مِن يمانٍ وشا ... مٍ ويُلغى انتسابُها في الحجازِ[٢٧]

فقد جرت عادة العرب أن تنسبَ النجوم – بحسب جهات مطالعها شمالاً وجنوباً – إلى الشام واليمن، فسهيل يماني والثريا شامية، مع أن النجوم محلّها في



السماء، ومع ذلك فقد ساغ لهم نسبتها إلى هذه البقاع اعتباراً بالمطالع، وإذا كان الأمر على هذا النحو من التوسّع في دلالات الكلام فإن أبا العلاء حريٌّ ألّا يُؤاخذ بالدلالات الحرفية لألفاظه بل يُفسح له مجال القول رحباً في استعمال ضروب المجاز التي تتجاوز حقائق الألفاظ؛ إذ إنه قد ساق الدليل المناسب الذي يُعلّل به ذلك التوسّع والتجوّز.

- ومنها تعليله الذي يُقدّمه لتسمية الشمس بـ (الغزالة) في قوله:

والغَزْلُ والرَّدْنُ للغواني ... شيئان عُدّا مِن الجِزالَهْ

والشمسُ غزّالةٌ ولكنْ ... خُفِّفَت الزاي في الغزَالَهْ[٢٨]

وقوله أيضاً:

لا تكوني روّادةً هَزّالَهْ ... واحذري مِن نوائبٍ جزّالَهْ

اغزِلي في الحياةِ فالشمسُ قِدماً ... غَزلتْ خيطَها فقيلَ: غَزَالَهْ[٢٩]

فأبو العلاء يرى أن التسمية ابتداء كانت بالغزّالة – بتشديد الزاي – صيغة مبالغة من الغازلة، لأنّ الشمس ترسل خيوط أشعتها كما تصنع الغوازل من النساء، ثمّ خُفّفت الزاي فأصبح اسمها غزالة. وما ذكره يختلف عمّا ذكره ابن فارس[٣٠] من أن الغزالة تسمية خاصّة بالشمس وقتَ طلوعها إلى ارتفاع الضحى تشبيهاً لها بالغزال – وهو الشادن حين يتحرّك ويمشي – حيث قال: «ولعلّ اسم الشمس مستعار من هذا، فإنّ الشمس تُسمّى الغزالة ارتفاعَ الضُّحى». واقترب المرزوقي في تفسيره للقب مما قاله أبو العلاء لكن من غير الجهة المذكورة حيث قال: «وحُكي (الغزالةُ) في أسماء الشمس لدوران قُرصِها في مرأى العين، ومنه: المِغزَل، ومُغازلة النساء لأنهنّ عندَ المُراودة كأنّهنَ يدُرنَ في أفانين الحديث»[٣١].

لكن يُشكل على ذلك ما ذكره صاحب القاموس[٣٢] في تعليل التسمية بنفس ما علّله أبو العلاء، فقال: لأنها تمدّ حبالاً كأنها تغزِل. على أنّ أمهات المعاجم اللغوية[٣٣] لم تذكر تعليلَ صاحب القاموس، مما يُقوّي القولَ بأنه قد التقطه من أبي العلاء ولاسيّما أن ما ذكره يقتضي أن تكون الشمس غزّالة بتشديد الزاي، ومما يؤيد



أسبقية أبي العلاء إلى هذا التعليل أن شرّاح السقط[٣٤] إنّما اعتمدوا في إثباته على بيتيه الأوّلين.

– ومن صوره أيضاً ردّه على من تمنّعت من وصاله لِما رأت من شيب رأسه فقال:

هي قالت لمّا رأتْ شيبَ رأسي ... وأرادتْ تنكّراً وازورارا

أنا بدرٌ وقد بدا الصُّبحُ في رأ ... سِكَ والصُّبحُ يطردُ الأقمارا

لستِ بدراً وإنما أنتِ شمسٌ ... لا تُرى في الدُّجى وتبدو نهارا![٣٥]

فقد علّلت – والتعليل من أبي العلاء بالطبع – تَنكُّرَها له وتجافيها عنه بأنها بدرٌ والبدر لا يظهر إلا ليلاً، والشيب الذي بدا في رأسه هو كالصبح الذي لا يجتمع بالأقمار بل يطردها بطلوعه! وقد أفلت أبو العلاء من عقال إلزام هذا القياس الجدلي بنقض مقدمته الأولى إذ نازع في كونها بدراً في الأصل، بل هي كالشمس التي تفوق البدر نُوراً وحسناً، وإذا كانت كذلك فإنها لا تطلع إلا نهاراً، ومن ثم فلا سبب يحول دون اجتماعها به لأن الصبح لا يطرد الشمس. وحُسن التعليل يظهر في حجّة الطرفين معاً، وهو يُضفي على الأبيات جوّاً من الطرافة والبهجة وروح الفكاهة.

– ومن صوره الباهتة قوله:

توقّتْكَ سِرّاً وزارتْ نهاراً ... وهل تَطْلُعُ الشمسُ إلّا نهارا[٣٦]

قال البطليوسي[٣٧]: «كأنّه نظر إلى قول أبي الطيّب:

قلقُ المليحةِ وهيَ مِسكٌ هَتْكُها ... ومسيرُها في الليل وهي ذُكاءُ[٣٨]»

٤ – الطِّباق:

وقفت له مما هو من شرط البحث على نموذجين اعتمد فيهما على تضادّ صفات بعض الكواكب، ولذا فهما يُعدّان من خفيّ الطِّباق الذي يحتاج إدراك معنى الضدّية فيه إلى شيء من التفكّر والتأمّل. **فالأول** في قوله في صفة درع:

أُجيدتْ بمِرّيخيّةِ النارِ فاغتدى ... لها زُحَليٌّ في الغرائزِ قارسُ[٣٩]



وأعاده بمعناه في قوله في صفتها أيضاً:

أخَـذَتْ مِـن الـمـرِّيـخِ وَقْـدَةَ شِـرَّةٍ إذْ ناسبَتْ زُحَلاً ببردِ طِباعِها[٤٠]

ومراده أنها عُمِلت في نارٍ ملتهبة متقدة، فجاءت لها طبيعةٌ شديدة البرد، فانتقلت من الضدّ إلى الضدِّ، ووصف الحديد بالبرودة يعني القوة والصلابة – ومنه: المبرد –، وفي عُرف الفلكيين: المرّيخ حارٌّ يابس، وزُحَل بارد يابس[٤١].

والثاني في قوله في تناقض أحوال الدنيا وأهلها:

زُحَـلـيٌّ واجِـمٌ يَـصـحَـبُـهُ زُهْـريُّ الـطَّـبـعِ غَـنَّـى وزَمَـرْ[٤٢]

زحَل يُوصفُ بالصفرةِ والكُمودةِ – وهي تغيّر اللون وذهاب صفائه –، وعلى العكس منه الزّهْرة فإنّها أشدّ السبعةِ السيّارة بياضاً وأعظمها منظراً[٤٣]. وبناء على هذا التضاد بين الصفتين فقد كنى أبو العلاء بـ (الزُّحلي) عن الحزين المغموم؛ لأن اللون الأصفر رمز المرض والكآبة، وبـ (الزُّهري) عن السعيد المسرور لأن اللون الأبيض رمز الفرح والبهجة.

٥ – الجناس:

– من صور **الجناس التام** المعتمد على الألقاب النجمية والفلكية قوله:

خـوّفـونـا مِـن الـقِـرانِ ولابـدَّ (م) لـنـفـسٍ مـعَ الـرَّدى مِـن قِـرانِ[٤٤]

فـ (قِران) الأولى بمعناه الفلكي الخاص، وهو (اجتماع كوكبين من السيّارات السبع في برج واحد في درجةٍ واحدة في دقيقة واحدة)[٤٥] وهو ما يعدّه المنجّمون علامة على النحس والشؤم. و(قران) الثانية بمعناها اللغوي العام وهو الاجتماع.

– ومن صوره أيضاً قوله:

ألاَ هـلْ رأتْ هـذي الـفـراقِدُ رَمْـيَـنـا فراقِدَ في وَحشٍ رعى الوحشَ آزِلُهْ[٤٦]

فـ (فراقِد) الأولى جمع فَرْقَد وهو النّجم، و(فراقد) الثانية جمع فَرْقَد أيضاً لكن بمعنى ولد البقرة الوحشية.



- ومن صوره أيضاً قوله:

أمّا الجواري كُنَّساً فيَفْتِنَني ... فمتى لحاقي بالجواري الكُنَّس[٤٧]

فالجواري الكنّس الأولى: الظّباء لسرعة جريها، والكُنّس جمع كانس وهو الظَّبي يدخل في كِناسه، وهو موضعٌ في الشجر يكتنُّ فيه ويستتر. والجواري الكنّس الثانية هي النجوم الجارية المذكورة في قوله تعالى ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ - ١٦] لأنها تكنِس في المغيب، أي: تَستسِرُّ[٤٨].

- ومن صوره أيضاً - وقد تقدّم بيانها[٤٩] - قوله:

هيهاتَ ما الجوزاءُ تُرزِمُ عندَها ... وَجناء كالجوزاءِ ذاتِ المِرزَمِ

- ومن صور التام أيضاً **جناس التركيب** - وهو ما كان أحد لفظيه مركّباً[٥٠] - في قوله:

أغوى زيجُ ناظرٍ في معاني الشُّـ (م) ـهْبِ أمْ حَلَّ بالمنايا الغوازي[٥١]

فالجناس بين (غوازي) المركّبة من [أ(غَوَى زِي) ج] و(غوازي) المفردة في نهاية البيت، ويسميه البديعيون بـ (الجناس المَرفُوّ) لكون اللفظ المركّب مؤلَّفاً من كلمة (غوى) وبعض كلمةٍ (زي) من زِيج.

ومن صور **الجناس الناقص**:

- التجنيس بين (الثريّا) و(الثرى) في مواضع من شعره، كقوله:

فتلكَ الثُّريّا وهذا الثَّرى ... شبيهانِ في قبضةِ الحابلِ[٥٢]

وقوله:

كمْ غادةٍ مِثلِ الثُّريّا في العُلا ... والحُسنِ قد أضحى الثّرى مِن حُجبِها[٥٣]

وقوله:

فيا دافِنيه في الثّرى إنّ لحدَه ... مقرُّ الثّريّا فادفنوه على علمِ[٥٤]

- والتجنيس بين (الأقران) و(القِران) في قوله:

يضرِبون الأقرانَ ضَرْباً يُعيدُ السَّـ (م) ـعْدَ نحساً في حُكم كلِّ قران[٥٥]

- والتجنيس بين (سهل) و(سُهيل) في قوله:



وسَهلٌ على نفسيَ التي رُمتُ حُزنَها   مَبيتُ سُهيلٍ للركائبِ مُؤتّما[٥٦]

ومن صور **الجناس المُحرّف** – وهو ما اختلف لفظاه في هيئات الحروف فقط[٥٧] – ما ورد في قوله:

لـيـلٌ يُـجَـنُّ وفـي جـنـادسِـه   قَـمَـرٌ تَـجَـاولَ تـحـتَـه قُـمْـرُ[٥٨]

فالقَمَر الذي في السماء، والقُمْر – بضمّ القاف وسُكون الميم – جمع قُمْريّ، وهو نوعٌ مِن الحَمام.

– وفي قوله:

فـالـخُنَّسُ الـكُنَّسُ الأفـرادُ خـالـقُـهـا   مُدبِّرٌ لاحتقارِ الخُنْسِ في الكُنُسِ[٥٩]

فالخُنَّس الكُنَّس – جمع خانس – هي النجوم السيّارة كما تقدّم، وخُنوسُها: غيابها. وأما الخُنْس – بسكون النون – فجمع خنساء والمراد الظبية لُقِّبت بذلك لخَنَس أنفها – وهو تأخّره إلى الرأس وارتفاعه من الشفة[٦٠] –، والكُنُس جمع كناس وهو مُستَتَر الظباء كما مرّ.

ومن صور **الجناس الاشتقاقي** – وهو ما جمعَ لفظين أصل واحد في اللغة، ثمّ اختلفا في حركاتهما وسكناتهما[٦١] – ما وقع في قوله:

أرزَمَتْ نـاقـتـاي شـوقـاً فـظنَّ الـرَّكْــ   ــبُ أنّـي سَـرى بـي الـمِـرزَمـانِ[٦٢]

فالتجنيس بين الفعل (أرزمت) والاسم (المِرزَم) وأصلهما اللغوي واحد وهو (رزم)، وأرزَمَت الناقةُ إذا حنّتْ، من الإرزام وهو صوتها. وأما المِرزَمان فنجمان مع الشِّعرَيَين. وتكرّر التجنيس عينه في قوله – وقد تقدّم الكلام عليه[٦٣]:

هـيـهـاتَ مـا الـجـوزاء تُـرزِمُ عـنـدهـا   وَجـنـاءُ كـالـجـوزاء ذات الـمـرزم

– وفي قوله:

أشـعَـرَ الـلـهُ خـالـقُ الأمـمِ الـشِّــ (م)   ــعْرى الغُميصاءَ ذِلّةً والعَبورا[٦٤]

فالتجنيس بين الفعل (أشعر) والاسم (الشِّعْرى)، وهما من مادة (ش ع ر)، وأشعر بمعنى ألْبَس، من الشعار: ما يُلبس تحت الدِّثار مما يلي شعر الجسد. والشِّعْرى: النجم المعروف.



- وفي قوله:

لا يمنعُ الملِكَ الجبّارَ من قَدَرٍ يُغيّرُ الحالَ ما أجدى وما جاسا
ولو غَدا الكوكبُ المرِّيخُ في يدهِ كالسَّهمِ واتّخذَ البِرْجيسَ بُرْجاسا[٦٥]

فالتجنيس بين (البِرجيس) و(البُرجاس)، وكلاهما من (ب ر ج س)، فالبرجيس: كوكب المشتري، والبُرجاس: غَرَضٌ للرمي يُنصَب على رأس رمح.

- وفي قوله:

خِلتُ النُّجومَ تنادي: أنجِموا فَرَقاً أوِ السُّها قال: أهلُ الأرضِ ساهونا[٦٦]

تجنيسان: **الأول** بين الاسم (النجوم) والفعل (أنجموا)، وأنجَمَ بمعنى ظهر وطلع. **والثاني**: بين (السها) و(ساهونا)، فالأول نجم خفيّ من بنات نعش الصغرى، والثاني جمع مذكر سالم لساهٍ اسم فاعل من سها يسهو.

وتكرّر التجنيس عينه في قوله:

إنّ السُّها والسِّماكَ ما غفلا عن ذِكرِ مولاهما ولا سَهَوَا[٦٧]

- وفي قولِهِ:

والخُنَّسِ الخمسِ ما يخلو فتىً ورِعٌ من ماردٍ في ضميرِ الصدرِ خنّاسِ[٦٨]

فالخنّس جمع خانس وهو الكواكب السيّارة كما تقدّم، والخنّاس هو الشيطان صيغة مبالغة من خَنَسَ؛ لأنه إذا ذُكر الله انقبض عن الوسوسة وتأخّر.

- ومنه التجنيس بين الفعل (أحمل) وبرج (الحمل) في قوله:

لا أحملُ الهمَّ لي يومٌ يُغيّبُني ولو حلَلْتُ مع الجوزاءِ والحمَلِ[٦٩]

ومن **الجناس الخطّي** – وهو توافق اللفظين في صورة الوضع دون الإعجام والإهمال[٧٠] – ما وقع في قوله:

تمضي الحوادثُ بالحَوراءِ راتِعةً بين الخمائل والجوزاءُ في الأفقِ[٧١]

فالتجنيس بين (الحوراء) – وهي: الظبية أو البقرة – و(الجوزاء) البرج المعروف.



ويبدو من هذه النماذج أن التجنيس في كثير منها كان مجتلباً مستكرهاً، وغدت فيه المعاني تابعة للألفاظ لا العكس، ولا حاجة للتدليل على ذلك لظهوره في معظم الأمثلة السابقة عند أدنى تأمّل.



هوامش الفصل الثاني

١ – **اللزوميات** (٢/ ٧٩).

٢ – **السقط** ص ٢٢٦. والأخبية: جمع خباء، وهو بيت يُعمل من صوف أو وبر، من بيوت الأعراب.

٣ – **الأنواء** ص ٨٠، **والأزمنة والأمكنة** ص ١٤٤.

٤ – **شروح السقط** (٣/ ١١٢٧).

٥ – **اللزوميّات** (٢/ ٢٠٣).

٦ – **السقط** ص ١٨٦. تذكي: تُوقد كما توقد النار. والغرز: ركاب الرحل. فالغزال يلتجئ إلى ظلّ الراكب من شدة الحرّ.

٧ – **اللزوميات** (١/ ٣١٣).

٨ – **المصدر السابق** (٢/ ٣٨٤).

٩ – **السقط** ص ١٧٥. والمسبوت: المستغرق في النوم.

١٠ – التورية المرشّحة: تورية تقترن بوصف يلائم المعنى القريب غير المراد. والمبيّنة بالعكس. انظر: الصفدي، الصلاح: **فضّ الختام في التورية والاستخدام**، تحقيق د. المحمدي الحناوي ط١ القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٩٧٩. ص ١٦٢.

١١ – **اللزوميات** (١/ ٣١١). ينمي: يرتفع. والجؤار: الدعاء بصوت مرتفع. والزريعة: البذر.

١٢ – ذو الرمّة، **ديوانه** (٢/ ١٠١٧). وانظر بيتين في المعنى نفسه لشاعر آخر في **الأزمنة والأمكنة** ص ٥٠٨.

١٣ – **اللزوميات** (١/ ١٩٣).

١٤ – في **فضّ الختام** ص ١٢٢ – ١٢٣.



١٥ – انظر: ابن حجة، أبو بكر الحموي، **خزانة الأدب**، شرح عصام شعيتو. ط٢، بيروت، دار الهلال ١٩٩١ (٢/٣٩ – ٤٠، ٤٣).

١٦ – في **فضّ الختام** ص ١٧٩.

١٧ – انظر: ابن أبي الإصبع، عبدالعظيم، **تحرير التحبير**، تحقيق د. حفني محمد شرف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٣. ص ٢٧٥.

١٨ – انظر: **الإيضاح** ص ٥٠٢، و**خزانة ابن حجة** (١/١١٩).

١٩ – **اللزوميات** (٢/١٨٢).

٢٠ – انظر: ابن أبي الإصبع في **تحرير التحبير** ص ٢٧٥، وابن حجة، في **خزانة الأدب** (١/١١٩)، ففيه نسبة التعريف لابن مالك ولم أجد فن الاستخدام في النسخة المطبوعة من كتابه المصباح، فلعله في بعض كتبه الأخرى.

٢١ – **السقط** ص ٩٦ – ٩٧. الشّرطان: كوكبان يُقال لهما قرنا الحمل. والعجس: مقبض القوس. والأبهران: ظهر القوس من الجانبين تشبيهاً لهما بعرقي الظهر.

٢٢ – **اللزوميات** (١/٢٣٢). الكفّة: حبالة الصائد. ونُزّه: بَعُد.

٢٣ – **المصدر السابق** (١/٥٨). والمشتري من شرى البرق إذا استطار لمعاناً.

٢٤ – ابن الناظم، **المصباح**، ص ٢٤١. وانظر: **تحرير التحبير** ص ٣٠٩، و**الإيضاح** ص ٥١٨.

٢٥ – **السقط** ص ٢٢ – ٢٣. وكلفة البدر: السواد الذي فيه. واللدم: ضرب المرأة وجهها باليد.

٢٦ – **اللزوميات** (١/٢٤١). البرجيس: المشتري. والفرَق: الخوف.

٢٧ – **المصدر السابق** (٢/١٠).

٢٨ – **المصدر السابق** (٢/٢١١). الرّدْن: الغزل. والجزالة: جودة الرأي.

٢٩ – **اللزوميات** (٢/٢٢٠). الروّادة: الطوافة في بيوت جاراتها. والجزّالة: مِن (جَزله بالسيف) إذا قطعه.



٣٠ - انظر: ابن فارس، أحمد: **المقاييس**. تحقيق عبدالسلام هارون/بيروت دار الفكر ١٩٧٩. ٤/٤٢٢.

٣١ - في **الأزمنة والأمكنة** ص ٢٨٨.

٣٢ - في مادة (غ ز ل)، وسكت الزبيدي على ذلك في شرحه **التاج** فلم يشر إلى مصدره.

٣٣ - انظر: **جمهرة ابن دريد** (٣/١٠)، **وصحاح الجوهري** (٥/١٧٨١)، **والمحكم** (٥/٢٦٤) **والمخصص** (٩/٢١) كلاهما لابن سيده، **واللسان** (١١/٤٩٣).

٣٤ - **شروح السقط** (٣/٩٦٧ - ٩٦٨).

٣٥ - **السقط** ص ٢٠٧.

٣٦ - **المصدر السابق** ص ٢٢٧.

٣٧ - في **شرح السقط** (٣/١١٣٧).

٣٨ - المتنبي، **ديوانه** (١/١٣). وذُكاء اسم للشمس.

٣٩ - **السقط** ص ٣١٥.

٤٠ - **المصدر السابق** ص ٣٢٣.

٤١ - انظر: **شروح السقط** (٥/١٩٥١).

٤٢ - **اللزوميات** (١/٤١١).

٤٣ - انظر: ابن قتيبة: **الأنواء** ص ١٢٨، والمرزوقي: **الأزمنة والأمكنة** ص ٥٤٣.

٤٤ - **اللزوميات** (٢/٤٠٣).

٤٥ - **شروح السقط** (١/٤٥٥).

٤٦ - **اللزوميات** (٢/١٨٤). الأزل: الجدب والشدة. ويبدو أن في البيت قلباً اضطره إليه حرف الرويّ كما في قول حسان (يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ)، فالتقدير: رعى الوحشُ آزلَه.

٤٧ - **اللزوميات** (٢/٤٧).



٤٨ - انظر **اللسان** مادة (كنس) (٦/١٩٨)، وفيه أنها النجوم الخمسة: المريخ وزحل وعطارد والمشتري والزهرة.

٤٩ - انظر ص ٨٥ من هذا البحث.

٥٠ - انظر: القزويني: **الإيضاح** ص ٥٣٦، والصفدي، الصلاح: **جنان الجناس**. تحقيق سمير حسين حلبي. ط١/بيروت - دار الكتب العلمية ١٩٨٧. ص٥٣.

٥١ - **اللزوميات** (٢/٩). والزِّيج: كتاب يُحسَب فيه سير الكواكب، وهو فارسي معرّب.

٥٢ - **المصدر السابق** (٢/٢٥٩).

٥٣ - **المصدر السابق** (١/١١٦).

٥٤ - **السقط** ص ١٩.

٥٥ - **المصدر السابق** ص ٩٨.

٥٦ - **اللزوميات** (٢/٢٩٥).

٥٧ - انظر: القزويني: **الإيضاح** ص ٥٣٧ - ٥٣٨، والصفدي: **جنان الجناس** ص٤٨، ويسمى أيضاً: الجناس المغاير.

٥٨ - **اللزوميات** (١/٣١٧).

٥٩ - **المصدر السابق** ٢/٣٩).

٦٠ - انظر **اللسان** مادة (خنس) (٦/٧٢).

٦١ - انظر: الصفدي: **جنان الجناس** ص ٧٥، ويسمّى أيضاً: الجناس المقارب وجناس الاقتضاب.

٦٢ - **السقط** ص ٩٩.

٦٣ - انظر ص ٨٥ من هذا البحث.

٦٤ - **اللزوميات** (١/٣٤٩).



٦٥ – **المصدر السابق** (٢/ ٣١).

٦٦ – **المصدر السابق** (٢/ ٣٦١). والفرَق: الخوف.

٦٧ – **المصدر السابق** (٢/ ٤٤٥).

٦٨ – **المصدر السابق** (٢/ ٤٠).

٦٩ – **المصدر السابق** (٢/ ٢٣٢).

٧٠ – الصفدي: **جنان الجناس** ص٦٧. ويسمى أيضاً جناس التصحيف.

٧١ – **اللزوميات** (٢/ ١٤٥).

الخاتمة

وبعد هذا الاستعراض المتأني لتمثلات النجوم والكواكب على صُعد الأداء التصويري والإقناعي والبديعي في شعر أبي العلاء يمكننا القول إنّه كان على دراية تامة ومعرفة متمكنة بأحوال النجوم وما يتعلّق بها من خصائص وصفات وما نُسج حولها من أساطير واعتقادات، وقد منحته هذه المعرفة المتينة تفوّقاً على كثير من المبصرين الذين لم يتنبّهوا إلى ما تنبّه له من صور ومعان ودلالات على الرغم من فقده لنعمة البصر التي تمثّل الحاسة الرئيسة اللازمة لرصد أحوال الفلك وما يعج به من ظواهر وتقلبات.

كما كشف الاستعراض عن سعة ثروته اللغوية في حقل النجوم والكواكب؛ إذ أظهرت أشعاره اطلاعاً واسعاً على أسماء النجوم وألقابها وإحاطة بدقائق مصطلحاتها الفلكية، وقد يسّر له ذلك تحقيق الإفادة القصوى منها في بناء أخيلته وبراهينه.

ولعلّ أهم ما يميّز التوظيف الفني للنجوم والكواكب في شعر أبي العلاء عن توظيف نظرائه من الشعراء عدم اكتفائه بالرصد البصري لملامح الشكل الخارجي للأجرام الفلكية، وهو ما درج عليه كثير من أهل الأدب، بل إنّه ليتغلغل منها إلى مضامين فكرية عميقة تتجاوز ذلك بكثير إلى قضايا تتصل بفلسفته ورؤيته الخاصة للعالم التي يغلب عليها طابع الظلامية والتشاؤم، وحتى في تناوله للأشكال الخارجية فإنه كان يسعى جاهداً لإيجاد علاقات دلالية يتوسّل بها إلى الربط بينها وبين تلك المضامين الفلسفية العميقة، بينما كان معظم الشعراء يقفون عند حدود الشكل الظاهري.



المصادر

١ - ابن أبي الإصبع: عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر المصيري:
- **تحرير التحبير**. تحقيق د. حفني محمد شرف. ط١/المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/القاهرة ١٩٦٣.

٢ - ابن حِجّة: أبو بكر علي بن عبدالله الحموي:
- **خزانة الأدب وغاية الأرب**. شرح عصام شعيتو. ط٢ دار الهلال/بيروت ١٩٩١.

٣ - ابن سِيده: علي بن إسماعيل الأندلسي:
- **المخصّص**. المطبعة الأميرية/القاهرة ١٣٣١هـ.

٤ - ابن ظافر: علي بن ظافر المصري:
- **غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات**. تحقيق الدكتورين زغلول سلام ومصطفى الجويني. دار المعارف/القاهرة ١٩٨٣.

٥ - ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم الدينوري:
- **كتاب الأنواء**. دار المعارف العثمانية/الهند ١٩٥٦.

٦ - ابن المعتز: عبدالله بن المعتز العباسي:
- **ديوانه**. تحقيق د. عمر الطباع/دار القلم/بيروت. د.ت.

٧ - ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي:
- **لسان العرب**. دار صادر/بيروت د.ت.

٨ - ابن الناظم: بدر الدين محمد بن محمد بن مالك:
- **المصباح في المعاني والبيان والبديع**. تحقيق د. حسني عبدالجليل. ط١ مكتبة الآداب/القاهرة ١٩٨٩.



٩ - أبو تمّام: حبيب بن أوس الطائي:
- **ديوانه** (بشرح التبريزي). تحقيق محمد عزّام. ط٣ دار المعارف/ القاهرة ١٩٨٣.

١٠ - البطليوسي: عبدالله بن محمد بن السّيد:
- **شرح السقط** انظر التبريزي.

١١ - التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الخطيب:
- **شرح السقط**. ضمن مجموعة شروحه بتحقيق جماعة من الأساتذة بإشراف طه حسين. ط٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة ١٩٨٦.

١٢ - الخوارزمي: قاسم بن الحسين بن محمد:
- **شرح السقط** انظر التبريزي.

١٣ - ذو الرُّمة: غيلان بن عقبة:
- **ديوانه**. تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح - ط٣ مؤسسة الرسالة/ بيروت ١٩٩٣.

١٤ - الراغب الأصبهاني: الحسين بن محمد:
- **محاضرات الأدباء**. مكتبة الحياة/بيروت د.ت.

١٥ - الزمخشري: جار الله محمود بن عمر:
- **أساس البلاغة**. تحقيق عبدالرحيم محمود. دار المعرفة/بيروت ١٩٧٩.

١٦ - الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك:
- **جنان الجناس**. تحقيق سمير حسين حلبي. ط١ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٨٧.
- **فضّ الختام في التورية والاستخدام**. تحقيق د. المحمدي الحناوي ط١ دار الطباعة المحمدية/القاهرة ١٩٧٩.
- **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه**. تحقيق هلال ناجي. ط١ إصدارات مجلة الحكمة/لندن ١٩٩٩.



١٧ – القزويني: محمد بن عبدالرحمن الخطيب:

– **إيضاح التلخيص**. تحقيق د. محمد خفاجي. الشركة العالمية للكتاب/ بيروت ١٩٨٩.

١٨ – القلقشندي: أحمد بن علي:

– **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. مصوّرة الطبعة الأميرية/القاهرة.

١٩ – المتنبي: أبو الطيّب أحمد بن الحسين:

– **ديوانه** (بالشرح المنسوب للعكبري). تحقيق مصطفى السقا وآخرين. دار المعرفة/بيروت د.ت.

٢٠ – المرزوقي: أحمد بن محمد بن الحسن:

– **الأزمنة والأمكنة**. تحقيق خليل المنصور – دار الكتب العلمية/بيروت ١٩٩٦.

٢١ – المعرّي: أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان:

– **سقط الزند**. دار صادر/بيروت د.ت.

– **اللزوميات**. ط١ دار الكتب العلمية/بيروت ١٩٨٣.





مجلة الطفولة العربية

Journal of Arab Children (JAC)

مجلة فصلية محكمة تصدرها

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

إن مجلة الطفولة العربية مجلة علمية محكمة في أبحاثها الميدانية تقدم للقارئ المهتم بمجال الطفولة غرفاً معرفيا لكل ما يخص الطفولة من دراسات وبحوث ومقالات وقراءات عامة يستفيد منها المختصون والمهتمون . وتقبل للنشر باللغتين العربية والإنجليزية المواد الآتية :

- الأبحاث الميدانية والتجريبية.
- الأبحاث والدراسات العلمية النظرية.
- عرض أو مراجعة الكتب الجديدة.
- التقارير العلمية عن المؤتمرات المعنية بدراسات الطفولة.
- المقالات العامة المتخصصة.

تدار المجلة من خلال مجلس أمناء ، وهيئة استشارية ، وهيئة تحرير.

الإشتراكات

البيان	داخل الكويت	دول مجلس التعاون	الدول الأخرى
ثمن العدد للفرد	1 د.ك	1 د.ك	2 دولار أمريكي
الاشتراك السنوي للفرد	3 د.ك	4 د.ك	15 دولار أمريكي
الاشتراك السنوي للمؤسسات	15 د.ك	15 د.ك	60 دولار أمريكي

العنوان

أبرق خيطان- شارع فيصل بن عبد العزيز- فيلا رقم 9279

ص.ب : 23928 الصفاة 13100 الكويت

تليفون : 4748479- 4748387- 4748250- فاكس : 4749381

E-mail : haa49@qualitynet.net



مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية
محكّمة تعنى بنشر البحوث
والدراسات القانونية والشرعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الدسوقي أبو الليل

صدر العدد الأول في
يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

	في الكويت	في الدول العربية	في الدول الأجنبية
الأفـــراد	٣ دنانيـــر	٤ دنانيـــر	١٥ دولاراً
المؤسسات	١٥ دينـــاراً	١٥ دينـــاراً	٦٠ دولاراً

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:
مجلة الحقوق - جامعة الكويت ص.ب: ٦٤٩٨٥ الشويخ - ب 70460 الكويت
تلفون: ٤٨٣٥٧٨٩ - ٤٨٤٧٨١٤ فاكس: ٤٨٣١١٤٣
E-mail: jol@kuc01.kuniv.edu.kw

عنوان المجلة في شبكة الإنترنت http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jol

ISSN 1029 - 6069





فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور: مبارك سيف الهاجري

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

* تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
* تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوي شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
* تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين العربي والإسلامي.
* تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص.ب ١٧٤٣٣ - الرمز البريدي 72455 الخالدية - الكويت هاتف ٤٨١٢٥٠٤ - فاكس ٤٨١٠٤٣٤

بدالة ٤٨٤٦٨٤٣ - ٤٨٤٢٢٤٣ - داخلي ٤٧٢٢

العنوان الالكتروني E-mail : JOSAIS@KUC01.KUNIV.EDU.KW

issn 1029 - 8908

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الانترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html







جامعة الكويت
مجلس النشر العلمي

■ تشكلت لجنة التأليف والتعريب والنشر بقرار صادر من وزير التربية والتعليم رقم (٢٠٣) بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٩٧٦

* أهداف اللجنة :

١- توسيع دائرة النشر العلمي بمختلف التخصصات العلمية لأعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت .

٢- إثراء المكتبة الكويتية بالكتب والمؤلفات العلمية والتخصصية والثقافية وكتب التراث الإسلامي باللغات العربية والأجنبية .

٣- دعم وتنشيط عملية التعريب التي تعد من الأهداف القومية التي انعقد عليها الاجماع العربي .

* مهام اللجنة :

- طبع ونشر المؤلفات العلمية والدراسية والاكاديمية . أو المترجمات لأعضاء هيئة التدريس التي يرغب أصحابها في نشرها على نفقة الجامعة . ويراعى التوازن في نشر هذه المؤلفات بحيث تغطي مختلف الاختصاصات في الكليات الجامعية .

- تحديد ثمن الكتاب الجامعي الذي ينشر باسم الجامعة .

رئيس اللجنة : د. احمد صاعن السمدان
توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة على العنوان التالي :
لجنة التاليف والتعريب والنشر - جامعة الكويت
ص.ب : 28301 الصفاة 13144 - دولة الكويت
بدالة : 4843185 / 4843185 فاكس : 4843185
البريد الالكتروني : atpc@kuc01.kuniv.edu.kw
الموقع على الإنترنت : www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/atpc





مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

جامعة الكويت ـ تأسس عام ١٩٩٤

مديرة المركز

أ . د أمل يوسف العذبي الصباح

يرحب المركز بنشر الأبحاث والدراسات التي تهدف إلى إبراز الخصوصية البيئية للمنطقة الخليجية ورصد قضايا التنمية بأبعادها الحضارية الشاملة وفي ضوء المتغيرات العالمية المتلاحقة ضمن

سلسلة الإصدارات الخاصة

سلسلة علمية محكمة

ومن قواعد النشر :

أولاً : أن يكون البحث أو الدراسة معنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية في المجالات الآتية : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والثقافية ، والفكرية ، وشئون البيئة ، والقانون ، والإعلام ، والعلاقات الدولية ، والتراث (الآثار والحضارة والقانون) الخ .

ثانياً : أن تمثل الدراسة إضافة جديدة إلى حقل التخصص .

ثالثاً : لم يسبق تقديمها إلى جهة أخرى .

رابعاً : ألا يقل عدد صفحات البحث أو الدراسة عن ١٥٠ صفحة ولا يزيد عن ٢٥٠ صفحة

خامساً : أن يقدم البحث أو الدراسة إلى مديرة المركز مطبوعة ومرفق بها قرص مرن .

سادساً : أن توضع هوامش البحث أو الدراسة في أسفل كل صفحة يشار فيها إلى المرجع أو المراجع المعتمدة ، أو مصادر البحث وفقاً للتسلسل التالي : (اسم المؤلف – عنوان البحث – اسم الناشر – تاريخ النشر – رقم الصفحة) ، وذلك بالنسبة للأبحاث المنشورة في المجلات أما الكتب فعلى النحو التالي : (اسم المؤلف – عنوان الكتاب – مكان النشر – تاريخ النشر – رقم الصفحة) ، وفي حالة الاعتماد على وثائق تكتب بيانات الوثيقة كاملة .

كما يصدر عن المركز مايلي :

- **سجل الأحداث الجارية لمنطقة الخليج والجزيرة العربية .**
- **سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية .**

المراسلات :

توجه جميع المراسلات بإسم مديرة المركز

ص . ب ١٧٠٧٣ الخالدية ـ الكويت

الرمز البريدي (٧٢٤٥١)

هاتف : ٤٨١٦٧٩٩ ـ ٤٨١٦٨٠٧ ـ ٤٨١٦٨٢٤

فاكس : ٤٨١٤٢٩٥ ـ ٤٨١٠٤٧٤

E.Mail: gulf - center @ yahoo.com

الاشتراكات :

١ ـ داخل الكويت : الأفـــراد ... ٤ د.ك .
المؤسســـــات ... ١٥ د.ك

٢ ـ الدول العربية : الأفـراد ... ٤ د.ك
المؤســـــات ... ١٥ د.ك

٣ ـ الدول الأجنبية : الأفراد ٦٠ دولارا





المجلة العربية للعلوم الإدارية



Arab Journal of Administrative Sciences

رئيس التحرير : أ.د. عبد الكريم عبد العزيز الصفار

- صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٩٣ — First Issue, November 1993
- علمية محكمة تعنى بنشر البحوث الأصيلة في مجال العلوم الإدارية — A refereed Journal Publishes Original Research in Administrative Sciences
- تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كل أربعة أشهر (يناير، مايو، سبتمبر) — Published by the Academic Publication Council, Kuwait University, 3 Issues (January, May, September)
- تهدف المجلة إلى الإسهام في تطوير الفكر الإداري واختبار الممارسات الإدارية وإثرائها — The Journal Intends to Develop and Exchange Business Thoughts
- مسجلة في قواعد البيانات العالمية — Listed in Several International Databases

ISSN:1029-855X

الاشتراكات

الكويت : 3 دنانير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات   الدول العربية : 4 دنانير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات
الدول الأجنبية : 15دولاراً للأفراد - 60 دولاراً للمؤسسات

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي :

المجلة العربية للعلوم الإدارية - جامعة الكويت ص.ب. : 28558 الصفاة 13055 - دولة الكويت
هاتف : Tel:(965) 4827317 بدالة : 4846843 (965) داخلي : 4415 - 4416 - 4734 فاكس: Fax: (965) 4817028
E-mail: ajoas@kuc01.kuniv.edu.kw   Web Site:http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajas



محتوى الحولية الرابعة والعشرين:

العنوان	المؤلف
٢٠٢ - شعر أيمن بن خريم الأسدي. (جمع وتحقيق)	د. عبدالله القتم
٢٠٣ - أثر التدريب في سلوك الموظفين كما يراه رؤساء العمل «دراسة ميدانية مقارنة بين الجهات الحكومية والجهات الخاصة بدولة الكويت»	د. فهد يوسف الفضالة
٢٠٤ - التحول الوبائي في دولة الإمارات العربية المتحدة «دراسة في الجغرافيا الطبية»	أ. د. محمد مدحت جابر عبدالجليل
٢٠٥ - عولمة الأنشطة الإعلامية قضايا وآراء. (بحث مستكتب)	أ. د. حمدي حسن أبو العينين
٢٠٦ - (السرديات) مقدمة نظرية.	د. مرسل فالح العجمي
٢٠٧ - تعاطي المواد المؤثرة في الأعصاب بين طلاب مرحلة التعليم الجامعي بدولة الكويت «دراسة وبائية»	د. فريح عويد العنزي، ود. الحسين محمد عبدالمنعم
٢٠٨ - في محددات العقل العمراني الخلدوني. (بحث باللغة الإنجليزية)	د. محمود بن حبيب الذوادي
٢٠٩ - «الإلياذة» هوميروس الملحمة الأنموذج أو ينبوع الإلهام الشعري منذ القدم وإلى اليوم. (بحث مستكتب)	أ. د. أحمد عتمان
٢١٠ - العلاقة بين الأمان العاطفي والاستقلال عن المجال الإدراكي لدى أطفال الروضة الكويتيين في ضوء إدراك الأمهات والمعلمات.	د. معصومة أحمد إبراهيم
٢١١ - (ذات القوافي) قصيدة في ثلاثين قافية بمدح سيد الوجود محمد ﷺ علي بن محمد بن عبدالعزيز المعروف بـ (ابن الدريهم). (تحقيق)	د. محمد حسان الطيان
٢١٢ - المرأة في البلاط الأموي في الأندلس (١٣٨هـ/ ٧٥٥م - ٤٢٢هـ/١٠٣٠م) دراسة في سيرتها ودورها السياسي والاجتماعي والثقافي.	د. يوسف بن أحمد حوالة
٢١٣ - الأشياء وتشكلاتها في الرواية العربية.	د. مصطفى إبراهيم الضبع
٢١٤ - اتجاهات الشباب والمراهقين نحو العمل الفني الصناعي في المجتمع القطري.	د. كلثم علي الغانم.
٢١٥ - التاريخ السياسي لإمارة بني مسافر في أذربيجان والران وبعض مظاهر الحضارة (٣٣٠-٤٢٠هـ/ ٩٤١-١٠٢٩م).	د. سليمان عبد العبدالله الخرابشة
٢١٦ - (موت النص) جدلية التحقيق والتخييل في النص الشعري في ضوء النقد الأدبي القديم، والشعراء النقدة.	د. محمد أبو الفضل بدران



حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الأبحاث ذات الصلة بدولة الكويت:

الحولية والموضوع	الباحث
٩٤ - الاغتراب في الشعر الكويتي	سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن
١٠٠ - شعر العدواني في مرايا بعض معاصريه	نسيمة راشد الغيث
١٤٣ - الثقافة في الكويت والغزو العراقي	عبد الله حمد محارب
١٦٢ - قراءة في ديوان " قصائد في قفص الاحتلال للشاعرة غنيمة زيد الحرب " نموذج من شعر المقاومة الكويتية"	عبد الستار ضيف
٦٣ - نجاح الشيخ أحمد الجابر في الإفادة من التنافس الإنجليزي الأمريكي بشأن نفط الكويت	ميمونة خليفة العذبي الصباح
٨٢ - مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية و البريطانية (١٨٩٩ -١٩١٣ م)	ميمونة خليفة العذبي الصباح
٩٦ - سياسات الاتصال في دولة الكويت	نبيل عارف الجردي - علي الدشتي(باحث اعلامي) (البحث باللغة الإنجليزية)
٩٨ - موقف المشاهدين في دولة الكويت من القناة الفضائية المصرية بعد التحرير (دراسة ميدانية)	محمد معوض إبراهيم / ياسين طه الياسين
٣٥ - اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات	عبد الفتاح القرشي
٧٧ - الاتجاه نحو الدين وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينه من الطلبة الجامعيين في الكويت	نزار مهدي الطائي
١٠٨ - الأعراض الاضطرابية المصاحبة لمشكلة الطلاق في الأسرة الكويتية بعد صدمة العدوان العراقي	بشير صالح الرشيدي
١١٦ - المهارات الاجتماعية في علاقتها بالقدرات الإبداعية وبعض المتغيرات الديموجرافية لدى طالبات الجامعة	عبد اللطيف محمد خليفة
١١٨ - قياس الحرج الموقفي: لدى طلاب المرحلة الجامعية من الجنسين وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية في المجتمع الكويتي	بدر محمد الأنصاري
١٢٧ - الاتجاه نحو بعض وظائف الأسرة الكويتية	عدنان عبد الكريم الشطي
١٣٧ - الطفل، المدرسة، التلفزيون: دراسة تحليلية لمحتوى برامج الأطفال في تلفزيون دولة الكويت ودورها في دعم القيم المراد غرسها في طفل المدرسة	محمد محمود العبد الغفور



تابع حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الأبحاث ذات الصلة بدولة الكويت:

الرقم	عنوان البحث	الباحث
١٣٩ -	دافع الإنجاز وعلاقته بالقلق والاكتئاب والثقة بالنفس لدى الموظفين الكويتيين وغير الكويتيين في القطاع الحكومي	عويد سلطان المشعان
١٤٢ -	نسق المعتقدات حول تدخين السجائر وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينة من طلاب جامعة الكويت (دراسة مقارنة بين المدخنين وغير المدخنين)	حصة عبد الرحمن الناصر و عبد اللطيف محمد خليفة
١٥٧ -	المخاوف المرضية عند طلاب الجامعة الكويتيين	بدر محمد الأنصاري
١٩٢ -	التفاؤل والتشاؤم قياسهما وعلاقتهما ببعض متغيرات الشخصية لدى طلاب جامعة الكويت	د. بدر محمد الأنصاري
١٠ -	الروابط العائلية . القرابية في المجتمع الكويت المعاصر	فهد ثاقب الثاقب
٥٧ -	التغير الاجتماعي في الدول المنتجة للنفط (مجتمع الكويت)	نورة الفلاح
١٠٤ -	اتجاهات الكويتيين نحو ظاهرة الزواج من غير الكويتية	فهد عبد الرحمن الناصر
١٢١ -	اتجاهات المواطنين الكويتيين نحو الآثار المترتبة على العمالة الوافدة	نضال حميد الموسوي
١٢٥ -	تفضيلات الاختيار الزواجي ومعوقاته في المجتمع الكويتي	خالد أحمد مجرن الشلال
١٣٢ -	عدم الاستقرار الأسري (دراسة ميدانية مقارنة بين الزوجات المتفرغات (ربات البيوت) والعاملات في المجتمع الكويتي)	هادي مختار رضا
١٤٦ -	مظاهر السلوك العدواني لدى طلبة المدارس الثانوية في دولة الكويت (دراسة استطلاعية)	فهد عبد الرحمن الناصر
١٦٦ -	الآثار والانعكاسات المتزايدة للأمن الاجتماعي في المجتمع الكويتي	محمد سليمان الحداد
٦٧ -	النفط والنمو الحضري بدولة الكويت - دراسة حضرية	أمل يوسف العذبي الصباح
٧٢ -	خبرات الكويت: توزيعها، نشأتها، تصنيفها	عبد الحميد أحمد كليو
١٠٥ -	انتخاب المجلس الوطني الكويتي لعام ١٩٩٠ (دراسة في الجغرافية السياسية)	جاسم محمد كرم



تابع حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الأبحاث ذات الصلة بدولة الكويت:

١٣٠ - الآثار الاقتصادية للغزو العراقي (دراسة مسحية تحليلية)	غانم سلطان أمان و فتحي عبد الله فياض
١٥٣- بعض الأدلة التاريخية والشواهد الجغرافية على استقلال دولة الكويت	فتحي عبد الله فياض
١٧٤- حجم وأنماط استهلاك المياه بدولة الكويت والعوامل الجغرافية المؤثرة فيها (دراسة تحليلية نقدية في جغرافية الاستهلاك).	غانم سلطان أمان
١٩٢- "التفاؤل والتشاؤم" قياسهما وعلاقتهما ببعض متغيرات الشخصية لدى طلاب جامعة الكويت	بدر محمد الأنصاري
١٩٨- مستويات المرجعية وتجلياتها التراثية في الشعر الكويتي الحديث	سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن
٢٠٣ - أثر التدريب في سلوك الموظفين كما يراه رؤساء العمل (دراسة ميدانية مقارنة بين الجهات الحكومية والجهات الخاصة بدولة الكويت)	فهد يوسف الفضالة
٢٠٧ - تعاطي المواد المؤثرة في الأعصاب بين طلاب مرحلة التعليم الجامعي بدولة الكويت دراسة وبائية	فريح عويد العنزي و الحسين محمد عبد المنعم
٢١٠ - العلاقة بين الأمان العاطفي والاستقلال عن المجال الإدراكي لدى أطفال الروضة الكويتيين في ضوء إدراك الأمهات والمعلمات	معصومة أحمد إبراهيم
٢١٧- سلوك تدخين السجائر لدى طلبة جامعة الكويت: دراسة في شخصية المدخنين	بدر محمد الأنصاري
٢١٨- مصادر المياه ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دولة الكويت: دراسة في الجغرافيا الاقتصادية	عبيد سرور العتيبي
٢١٩- قراءات نقدية في شعرية القصيدة العربية الجديدة في الكويت ملامح من المستويات الأسلوبية والتعبيرية والدلالية والمعنوية.	محمود جابر عباس الجنابي (رحمه الله)
٢٢٦- وثائق الوقف الكويتية وأهميتها التاريخية ١٢٦٣-١٣٨٢هـ/ ١٨٤٧-١٩٦٣م	فيصل عبدالله الكندري



Artistic Utilization of Stars and Planets in Abu-Al-Ala's Poetry

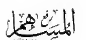
Abstract

Names of stars and planets, and pertinent phenomena and beliefs, are repeatedly used in Abu-Al-Ala's poetry. This study aims at exploring the ways and mechanisms with which he utilized his astronomical knowledge to serve the ideas and methods of his poetry.

The study is divided into four sections; the first deals with his experience in rhetorical figuration related to stars and planets. In the second section, the author discusses the single figuration of each star as well as the dual figuration, and a comparison with other former poets to discover the elements of modernity and imitation in his poetry.

In the third and the fourth sections, the author examines the artistic utilization of stars and planets at two levels: (1) the persuasive discourse which shows the role of stars as an essential source of Abu-Al-Ala's philosophy and his view about life and the universe. (2) the rhetorical evocation of stars and planets in his poetry.

The study demonstrates Abu Al-Ala's deep astronomical knowledge and his wide cultural lexicon regarding stars. It also highlights his skills in utilizing stars and planets artistically and rhetorically.



The Author:

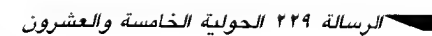
Dr. Jassem S. Al-Fuhaid:

- Ph.D. in Criticism and Rhetoric from the Faculty of Arts, Cairo University, 2000.
- Staff member, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Kuwait University.

Publications

Articles

- The Structure of Metonymy: A Study of the Semantic Relationships Network-Kuwait, *Arab Journal for Humanities*, vol 88, 2004.





Monograph 229

Artistic Utilization of Stars and Planets in Abu-Al-Ala's Poetry

Dr. Jassem S. Al-Fuhaid
Department of Arabic Language & Literature
Faculty of Arts
University of Kuwait



Advisory Board



Editorial Board



ANNALS OF THE

ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Issued by the Academic Publication Council - University of Kuwait

A REFEREED ACADEMIC QUARTERLY THAT PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTIES OF ARTS AND SOCIAL SCIENCES:

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES:

- Department of Arabic Language and Literature.
- Department of English Language and Literature.
- Department of History.
- Department of Philosophy.
- Department of Mass Communication

FACULTY OF SOCIAL SCIENCES.

- Department of Sociology
- Department of Geography
- Department of Psychology
- Department of Political Science

Volume 25, 2005



ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A Refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

Artistic Utilization of Stars and Planets in Abu-Al-Ala's Poetry

Dr. Jassem S. Al-Fuhaid

Department of Arabic Language & Literature
Faculty of Arts
University of Kuwait

Academic Publication Council



1560 - 5248

h 229 - Volume 25

05 (June)

